الحوار آدابه وأثره في الدعوة إلى اللّه تعالى

من خلال سورة الكهف

إعـــداد

د/ أحمد سعيد علي حسن

مدرس بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

البريد الالكتروني: AhmedHasan١٣٣@azhar.edu.eg

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾

الكهف: ٣٤

قال تعالى:

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾

(الكهف: ٣٧)

ملخص البحث

إن للحوار في الإسلام مجموعة من الآداب والضوابط والقواعد والأصول، وبخاصة في القرآن الكريم، وتحديدًا في سورة الكهف، تتمثل في مجموعة من ضرب الأمثال، والقصص، والشخصيات، والمواقف التي وردت في سياق آيات السورة الكريمة، ومن ثَمَّ كان من الواجب الوقوف عليها وتحديدها، وبيان أثرها في الدعوة إلى الله تعالى بصفة عامة، وفي الإصلاح والتغيير الاجتماعي والثقافي بصفة خاصة، مع معرفة سُبل الإفادة المعاصرة منها وبخاصة للدعاة إلى الله تعالى في العصر الحاضر، وذلك من خلال إبراز تفسير الآيات القرآنية التي وردت بها تلك الآداب والضوابط والقواعد والأصول الحية لمبدأ الحوار، واستخراجها والتأكيد عليها من خلال هذا البحث، الذي يأتي ليؤكد على مدى التلاحم والتلاصق بين علم من العلوم الشرعية بل من أَجَلِّهَا وأعلاها شأنًا وهو (علم التفسير) لتعلقه بكتاب الله, وبين الدعوة الإسلامية، وأسلوب القصة المشتملة على الحوار في سورة الكهف، كقصة أصحاب الكهف، وصاحب الجنتين، وموسى والخضر، وذي القرنين واضح وجلي حيث تظهر فيه مجموعة من الآداب والقواعد والأصول المتعلقة بالحوار في كل قصة على حدة من أجل الإصلاح، والتغيير الاجتماعي والثقافي، والدعاة إلى الله في العصر الحاضر أحوج ما يكونوا إلى معرفة هذه الآداب والقواعد والأصول والإفادةِ منها في دعوتهم للمسلمين وغير المسلمين؛ فيأتي هذا البحث ليلقي بالضوء على أهم آداب وأصول وقواعد الحوار التي ينبغي علي المسلم بوجه عام، والداعية بوجه خاص الالتزام بها، من خلال أهم القصص في سورة الكهف، وقد اعتمدتُ في هذا البحث على المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي، من خلال استحضار الشواهد من النصوص القرآنية والمعرفية، ومناقشتها وتحليلها واستنباط النتائج منه، وخلص البحث إلى أن للحوار في القرآن آداب وقواعد وأصول عظيمة هو منبعها ومعينها الأول، يجب استلهامها والاسترشاد بها، من أجل الوصول إلى الأمن الفكري، والسلامة من التطرف والغلو، والانغلاق الذاتي، والتحجر المعرفي والثقافي، والجفاء الاجتماعي، والضنك الاقتصادي، أيضًا شمولية الحوار القرآني لجميع نواحي الحياة وجميع فئات المجتمع، ويوصي البحث بضرورة بيان قيمة الحوار من خلال القرآن الكريم والتعرف على آدابه وقواعده وأصوله، وضرورة وضع مادة دراسية تختص بتعليم النشء مهارة الحوار وآدابه وأصوله وقواعده.

الكلمات المفتاحية : الحوار, آداب , أثر، الدعوة، سورة الكهف.

❁ ❁ ❁

(The etiquette of dialogue and its impact on the call to God Through Surah Al Kahf).

Ahmed Saied Ali Hassan

Teacher, Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic Advocacy, Cairo, Al-Azhar University,Egypt.

Email: AhmedHasan١٣٣@azhar.edu.eg

Abstract:

The dialogue in Islam has a range of etiquette, regulations, rules and origins, particularly in the Holy Koran and specifically in Surah Al Kahf. It consists of a series of proverbs, stories, characters and attitudes that have been expressed in the context of the Holy Surah's verses.

The style of the story of dialogue in Surah Al Kahf, such as that of the People of the Cave, the owners of the two genera, the Moses and the Greens, and the two horns, is clear and clear. A series of etiquette, rules and origins of dialogue appear in each individual story for reform, social and cultural change, and the preachers of God in the present day need to know and benefit from these etiquette, rules and rules. This research brings to light the most important ethics, origins and rules of dialogue that I should generally recognize and call for, in particular, adherence to through the most important stories in Surah Al Kahf.

This research has relied on the analytical, descriptive and deductive approaches by evoking, discussing, analysing and drawing results from evidence from Koranic and cognitive texts.

The scholar concluded that the dialogue in the Koran has great ethics, norms and origins, the origin of which is their primary designation, which must be inspired and guided, in order to achieve intellectual security, safety from extremism and hypocrisy, self-closure, cognitive and cultural immersion, social healing and economic dengue, as well as the universality of the Koranic dialogue for all aspects of life and all segments of society.

The researcher recommends the need to demonstrate the value of dialogue through the Holy Koran and to learn about its ethics, norms and origins; to develop a course on teaching young people the skills, ethics, origins and norms of dialogue.

Keywords: dialogue, etiquette, trace, Da'wah, Surah Al Kahf.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، ونهج نهجه واقتفى أثره، واستنَّ بسنته إلى يوم الدين.

وبعد:

فيُعتبرُ (علم التفسير)، من أَجَلِّ العلوم وأعلاها قَدرًا وذلك لتَعَلُّقِ موضوعه بكتاب الله تعالى، وبيان معانيه للناس، ولا غنى للداعية إلى الله قديمًا وحديثًا عن معرفة هذا العلم وتوظيفه في خدمة دعوته، والوقوف من خلاله على الأساليب والوسائل الدعوية من خلال السور القرآنية؛ فالعَلاقة بين العلوم الشرعية بوجه عام، وعلم التفسير بوجه خاص والدعوة الإسلامية عَلاقة وثيقة ووطيدة غير مُنْفَكَّة بحال من الأحوال.

ولا يخفى على كل مسلم أن الحوار له أصل ثابت في منهاج الله قرآناً وسنة، وهو ينطلق من تأثيرات تجيش في النفس لتصحيح وتغيير معتقد، أو لإصلاح معوج، أو لإظهار مبدأ، أو نصرة حق أو غير ذلك مما جُبلت عليه النفس الإنسانية.

أهمية البحث

ترتكز أهمية هذا الموضوع على أمور أربعة:

الأمر الأول: ثراء سورة الكهف واشتمالها على أسلوب الحوار الهادف من خلال مجموعة من القصص المتنوع ولا شك أنه لا قصص بلا حوار.

الأمر الثاني: يُعدَّ الحوار من أهم أساليب التفاهم بين الناس، كما أنه من أهم أساليب المعرفة والإقناع مهما كانت الثقافات والتوجهات، وكذلك من أهم أساليب الدعوة إلى الله، قال تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل من الآية: ١٢٥).

الأمر الثالث: الحاجة الملحة لدى كافة طوائف المجتمع في الواقع المعاصر للتحلي بآداب الحوار، والتمسك بضوابطه في مختلف المواقف الحياتية، والتعاملات اليومية، واللقاءات الإعلامية ،والدعوية.

الأمر الرابع: ما يتميز به هذا العصر من سرعة في التواصل والاتصال والذي نشأت عن طريقه العديد من العَلاقات أدت إلى العديد من الاحتكاكات وربما المشاجرات الكلامية فضلاً عن لغة الاستعلاء، والاستعداء اللفظي عبر وسائل التواصل الحديثة الأمر الذي يجعلنا نتجه -

كباحثين ومثقفين ودعاة ـ إلى مزيد من الاهتمام بأسلوب الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء القرآن الكريم.

ومن هنا كانت الحاجة مُلحة بشكل خاص للقائمين على الدعوة الإسلامية أن يُتقنوا فَنَّ الحوارِ من أجلِ التجديد في دعوتهم، والوصول إلى قلوب البشر والتأثير فيها نحو الفضيلة والاستقامة على منهاج الله تعالى، والقرآن الكريم بسوره وآياته مَلِيء بالنماذج والصور الحوارية البليغة والمؤثرة ، وسورة الكهف من السور التي لها فضائلها ومكانتها بين سور القرآن الكريم حيث اشتملت على مجموعة من الأساليب الدعوية واشتمل الحوار في كل قصة من هذا القصص على مجموعة من الآداب من أجل الإصلاح، والتغيير الاجتماعي والثقافي، والدعاة إلى الله في العصر الحاضر أحوج ما يكونوا إلى معرفة هذه الآداب والإفادةِ منها في دعوتهم للمسلمين وغير المسلمين.

ومن هنا أردتُ أن أكتب في هذا الموضوع؛ فجاء البحث بعنوان **(الحوار آدابه وأثره في الدعوة إلى الله تعالى من خلال سورة الكهف)**.

أهداف البحث

يَصْبوُ هذا البحث إلى تحقيق عدة أمور، هي:

أولاً: التعرف على أهم آداب الحوار وأصوله وضوابطه، واستنباطها من خلال آيات قصص سورة الكهف والمتمثلة في قصة (أصحاب الكهف، صاحب الجنتين، موسى والخضر ،ذي القرنين).

ثانيًا: إبراز أهمية آداب الحوار ودورها في الإصلاح العقدي، والفكري، والاجتماعي، والاقتصادي من خلال هذه القصص.

ثالثًا: بيان أثر الحوار وآدابه في الدعوة إلى الله تعالى، وتلخيص سُبل الإفادة المعاصرة منها للدعاة في العصر الحاضر.

منهج البحث

لقد سلكتُ في هذا البحث المناهج التالية:

١. **المنهج التاريخي:** وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاقية، ويُعنى باسترداد الماضي، تبعًا لِمَا تركه من آثار، أيًا كان نوعها ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث، والتطورات الماضية. (١)

٢. **المنهج التحليلي:** وهو منهج يقوم على دراسة الأشكال العلمية المختلفة، تفكيكًا، أو تركيبًا، أو تقويمًا.(٢).

٣. **المنهج الاستنباطي:** وهو: انتقال الذهن من قضية أو عدة قضايا هي المقدمات إلى قضية أخرى هي النتيجة وفق قواعد المنطق، ومن أوضح صوره: البرهنة الرياضية، ويقوم المنهج الاستنباطي على مقدمات بها بصفة نهائية أو مؤقتة، ونتائج تنتج عنها بالضرورة. (٣)،وقد تم الإفادة من هذه المناهج في هذا البحث من خلال استحضار الشواهد من النصوص القرآنية والمعرفية، ومناقشتها وتحليلها واستنباط النتائج منها.

خطة البحث:

يشتملُ هذا البحث على مقدمةٍ، وتمهيدٍ وثلاثةِ مباحث، وخاتمةٍ .

المُقَدِّمَةُ: وَفيها أَهَمِيَّةِ البحث، والمَنَاهِجَ المُسْتَخْدَمَةِ فِيهِ، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته.

التَّمْهِيدُ (الحوار و آدابه المفهوم والأهمية) وَيشْتَمِل عَلَى نُقْطَتَيْنِ:

أولاً: تَحْدِيدُ المَفَاهِيمَ الوَارِدَةِ بِعُنْوَانِ البَحْثِ.

ثانيًا: أهميةُ الحُوَارِ فِي الإِسْلاَمِ (آدَابُهُ وَضَوَابِطُهُ).

---

(١) انظر: مناهج البحث العلمي، أ. د: عبد الرحمن بدوي، ص١٨، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٧م، طبعة وكالة المطبوعات الكويت، والبحث العلمي ومناهجه النظرية (رؤية إسلامية)، أ. د: سعد الدين صالح، ص٤٤، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤ هـ ،١٩٩٣م، طبعة: مكتبة الصحابة، جدة.

(٢) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د: فريد الأنصاري، ص٩٦، سلسلة (الحوار)، العدد (٢٧)، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، سنة١٤١٧هـ . ١٩٩٧م.

(٣) مناهج البحث العلمي وآداب الحوار والمناظرة، أ. د : فرج الله عبد الباري أبو عطا الله، ص ٤٨٩، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م، بدون دار طبع.

المَبْحَثُ الأَوَّل : آدَابُ الحُوَارِ من خلال سورة الكهف وَدَوْرُهَا فِي الجدال العقدي، والفكري

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: آداب الحوار من خلال سورة الكهف ودورها في الجدال العقدي (أصحاب الكهف أنموذجًا).

المطلب الثاني: آداب الحوار ودورها في الجدال الفكري من خلال سورة الكهف (موسى والخضر أنموذجًا).

المَبْحَثُ الثَّانِي: آدابُ الحُوَارِ من خلال سورة الكهف وَدَوْرُهَا فِي الاصلاح الاجتماعي ، والاقتصادي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آداب الحوار ودورها في الاصلاح الاجتماعي (صاحب الجنتين أنموذجًا).

المطلب الثاني: آداب الحوار ودورها في الاصلاح الاقتصادي (ذو القرنين أنموذجًا).

المَبْحَثُ الثَّالث: سُبُلُ الإِفَادَةِ المُعَاصِرَةِ لِلدَّعْوَةِ والدُّعَاةِ مِنْ خِلَالِ آدَابِ الحُوَارِ فِي السُّورَةِ الكَرِيمَةِ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهم الآداب والضوابط المستفادة والمشتركة بين قصص سورة الكهف وعلاقتها بالدعوة الإسلامية.

المطلب الثاني: سبل الإفادة المعاصرة من آداب الحوار وضوابطه للدعاة إلى الله تعالى من خلال سورة الكهف.

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته، ثم قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات .

هـذا وأسألُ اللهَ تعالى أن يرزقنا الإخلاصَ في القولِ والعملِ والسرِ والعلنِ، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾(**آل عمران: ٨**)

التمهيد

أدب الحوار (المفهوم والأهمية)

أولا: التعريف بالمفاهيم الواردة بعنوان البحث

أ ـ التعريف بكلمة (الحوار) في اللغة:

الحوار في اللغة: هو الرجوع عن الشيء أو إلى الشيء، تراجع الكلام ، وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام ، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة (١) ، و"المحاورة والحوار: المَرادّة في الكلام، ومنه التحاور" (٢)، وفي القاموس المحيط: وردت مادة (حور) بمعنى " استحاره، واستنطقه، وما أحار جوابًا: وما رد جوابًا وحوره تحويرًا: رجعه التحاور: التجاوب، وتحير الماء دار واجتمع" (٣) .

أما الجدل: فقال ابن فارس: (الجيم والدال واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام) (٤).

ويمكن القول: بأن هذه المعاني اللغوية وردت في سياق الآيات الكريمة التي ورد فيها مادة (حور). قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ **(الانشقاق:١٤)** قال القرطبي: " أي لن يرجع حياً مبعوثاً . فالحوار في كلام العرب الرجوع" (٥)، وقال تعالى: ﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠

---

(١) لسان العرب ، ـ مادة (حَوْر) ، جـ١٣، ص ١٠٤٢، مرجع سابق.

(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني،ج١، ص١٣٥، طبعة دار المعرفة، بدون تاريخ.

(٣) انظر: القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي(٨١٧هـ)، باب الحاء، مادة (حور)، ج١، ص ٤٨٧، ٤٨٨، بتصرف. طبعة: مؤسسة الرسالة– بيروت ـ بدون تاريخ.

(٤) معجم مقاييس اللغة، مادة (ج د ل) ، ج١، ص٣٨٧، مرجع سابق.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، ج١٩، ص٢٧٣، ط٧، سنة ١٤٢٣ هـ : ٢٠٠٣ م، طبعة: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.

﴿ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ ﴾ **{الكهف ٣٤}** قال القرطبي: " أي يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور التجاوب"(١).

وقال تعالى:﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ﴾**{المجادلة: ١}**، قال في الجلالين: "تراجعكما" أي في الكلام.(٢).

وورد هذا المعنى أيضاً في غير ما حديث نبوي, من ذلك أن النبي (ﷺ) كان يستعيذ من: **(الحور بَعْدَ الكَوْر)** (٣) وفيه تفسيران : أحدهما : نعوذ بالله من التردُّد في الأمر بعد المُضِيّ فيه والثاني : نعوذ بالله من النقصان والتردُّد في الحال بعد الزيادةِ فيها (٤).

ومنه حديث: **(وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ)**(٥).

أي رجع إليه ما نسب إليه، ومنه حديث عائشة : **(فَغَسَلْتُهَا ثُمَّ أَجْفَفْتُهَا فَأَحَرْتُهَا إِلَيْهِ)** (٦).

ومن خلال ما سبق يمكن القول: بأن لفظة الحوار في اللغة تدل على مراجعة الكلام بين طرفين، وعلى هذا يكون المعنى المراد ويدور حوله هذا البحث أن الحوار: عبارة عن مراجعة

---

(١) المرجع السابق، ج١٠، ص٤٠٣.

(٢) تفسير الجلالين، المؤلف : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج١، ص٧٢٤، ط١، طبعة: دار الحديث – القاهرة. بدون تاريخ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن عبدالله بن سرجس، كتاب الحج، باب ما يقال إذا ركب لسفر الحج وغيره، ج٢، ص٩٧٩ ، الحديث رقم (١٣٤٣) . المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، تحقيق: محمد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، ج٥، ص٢٦١، ط١، سنة ١٤١٩ هـ –١٩٩٨ م، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي ذر، كتاب الإيمان، باب بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم، ج١، ص٧٩، الحديث رقم (٦١) .

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب جماع أبواب الصلاة بالنجاسة وموضع الصلاة من مسجد وغيره، باب ما يجب غسله من الدم، ج٢، ص٥٦٥، حديث رقم(٤٠٩٢). ، ط٣ ، سنة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. (قال المنذري: " هو غريب " ؛ أي: ضعيف؛ لأن فيه امرأتين مجهولتين في الإسناد.) .

الكلام بين طرفين لا بهدف الخصومة وإنما بهدف البيان والتوضيح لأمر من الأمور أو لقضية من القضايا بالحسنى والرفق واللين؛ بُغية الوصول إلى الحق فيها.

ب ـ التعريف بكلمة (الحوار) في الاصطلاح:

١. **الحوار**: هو أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كل منها من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الأخر في فعله ومنطقه وفكره قاصدًا بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره. (١).

٢. وقيل الحوار هو: (مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة، أما الجدل: فهو: إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة. ، ويفرق العلماء بين الحوار والجدل حيث إن الجدل مظنة التعصب والإصرار على نصرة الرأي بالحق وبالباطل، والتعسف في إيراد الشبه والظنون حول الحق إذا برز من الاتجاه الآخر، وتوجد ألفاظ قريبة من الحوار والجدال منها: المحاجة والمناظرة والمناقشة والمباحثة) (٢)

٣. **وقيل الحوار**: هو تبادل طرفي الكلام بين اثنين أو أكثر حول موضوع محدد للوصول إلى هدف معين(٣) .

وعلى هذا: يُراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس: مناقشة بين طرفين أو أطراف ، يُقصد بها تصحيح كلامٍ ، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي.

مما سبق يتبين أن الحوار: هو تبادل المعلومات والأفكار والآراء سواء أكانت تبادلاً رسمياً أم غير رسمي، مكتوباً أم شفوياً بهدف الوصول إلى الحق، أو الحقيقة من الأقوال، والأفعال والمواقف، والتأصيل لأصول وقواعد الحوار التي ينبغي على المتحاورين الالتزام بها.

وسورة الكهف اشتملت على العديد من الحوارات التي دارات بين شخصيات بعض القصص الواردة بها أَصَّلَت لمجموعة من الآداب والقواعد والضوابط التي حملت هذه المعاني من تبادل

---

(١) الحوار..الذات والأخر، عبدالستار إبراهيم الهيتي، ص٤٠، ط١سنة ٢٠٠٤م، طبعة منشورات وزارة الأوقاف، قطر.

(٢) راجع: الكافية في الجدل للإمام الجويني، ص ٢١، بدون بيانات .

(٣) انظر: بحث بعنوان (الحوار مع الأبناء) ، عبد المحسن محمد الملحم، ص ٤٥٨بتصرف يسير، منشور بمجلة الإرشاد النفسي، جامعة عبن شمس القاهرة. العدد (٣٥)، أغسطس ٢٠١٣م، وأسس الحوار بين الأديان، محمد حسين فضل الله، مقال بجريدة النهار، ص١٣، بدون رقم للعدد ، سنة ٢٠٠٥م.

المعلومات، والنقد الهادف، وبيان الحقائق؛ وهذا ما سنتعرض له بالبيان والتوضيح من خلال هذا البحث؛ لنقف على أدب الحوار، وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، وسُبل الإفادة المعاصرة منه للدعاة في العصر الحاضر من خلال السورة الكريمة.

ج ـ التعريف بكلمة (آداب) في اللغة :

بالرجوع إلى معاجم اللغة تبين أن لفظ (أدب) يدور حول معاني عديدة في اللغة منها أن الأدب: يدل على كل ما يَأخذ بأيدِي الناس إلى الهُدى والرشاد، وإلى محامد الخصال، ويأتي أيضًا بمعنى الدعاء(١)، وبمعنى ما أُجمع على استحسانه ومنه حديث عبد الله ابن مسعود: " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ فَتَعَلَّمُوا مَأْدُبَةَ اللهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ " (٢)، كما ورد بمعنى التدريب والتَّعَوُّد، والتهذيب(٣)، وبمعنى العلم والَثقافة والرعاية والَطريقة المقبولة، وبمعنى الفن من العلوم (٤).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا: أن المعاني اللغوية لكلمة (أدب) كثيرة ومُتشعبة يُقصد بها : (تهذيب الأخلاق وإصلاح العادات) وهو المعنى المراد الذي يدور حوله هذا البحث .

د ـ التعريف بكلمة (آداب) في الاصطلاح:

١. **عرفه الشيخ عبد الحق في الجواهر بقوله:** الأدب حسن الأحوال في القيام والقعود وحسن الأخلاق واجتماع الخصال الحميدة، **وقيل الأدب:** اسم يقع على كلّ رياضة محمودة فيخرج بها

---

(١) انظر في ذلك: لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ـ مادة (أدب) ، جـ١، ص ٢٠٦، ط١، ط: دار صادر – بيروت بدون تاريخ، ومختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي،ج١، ص١٠، طبعة جديدة، سنة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م ، ط : مكتبة لبنان، بيروت.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، ج٤، ص٢٠٨٣، حديث رقم (٣٣٥٠)، ط١، سنة ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م ، طبعة: دار المُغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، وقال المحقق: رجاله ثقات، ورواه الحاكم من طريق صالح بن عمر، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، وقال: تفرد به صالح بن عمر عنه به وهو صحيح . انظر: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، المؤلف : أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري،ج٦، ص٣٢٩، بدون بيانات.

(٣) راجع: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، تحقيق : عبد السَّلام محمد هَارُون، مادة (أ د ب) ج١، ص٩٢، ط٣ : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م، طبعة اتحاد الكُتَّاب العرب.

(٤) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم . لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني ج١ ، ص١٢٧، ١٢٨ ، ط١، سنة١٩٩٦م. ط: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت.

الإنسان إلى فضيلة من الفضائل، **وعرفه بعضهم:** بأنه مَلَكة تعصم من قامت به عمّا يُشينه؛ فهو الخصال الحميدة، والمَلَكة هي الصفة الراسخة للنفس، فما لم يكن كذلك لا يكون أدبًا كما لا يخفى.

والفرق بينه وبين التعليم أن التأديب يتعلّق بالمرادات والتعليم بالشرعيّات، أي الأول عُرفي والثاني شرعي، والأول دنيوي والثاني ديني.(١)

٢. **وفي تعريفات الجرجاني الأدب:** عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ، وأدب القاضي وهو التزامه لما ندب إليه الشرع من بسط العدل ورفع الظلم وترك الميل (٢).

ويتضح من هذه التعريفات أن الأدب معناه: هو مجموعة المبادئ والمُثل العُليا التي يمكن أن يتبناها الفرد وتظهر في سلوكه عند مواجهة موقف أو موضوع معين.

وفي النهاية يمكن القول: أن هذا البحث يُلقي بالضوء على أهم المبادئ والأصول والقواعد والمُثل العليا التي ظهرت في سلوك بعض الأشخاص عبر مجموعة من المواقف تحدثت عنها سورة الكهف من خلال أدب الحوار، في القصة القرآنية المكتملة الأركان حيث لا قصص بلا حوار، وأثر هذه المبادئ والمُثل في الدعوة إلى الله تعالى، وسُبل الإفادة المعاصرة منها، وهذا ما سيتعرض له هذا البحث بالبيان والتوضيح.

هـ - حول سبب اختيار سورة الكهف لتكون محل الدراسة

لعل السر في اختيار سورة الكهف لتكون محل الدراسة أمور كثيرة من أهمها:

أولاً: أن الأسلوب القصصي هو العنصر الغالب في هذه السورة ؛ ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف ، وبعدها قصة الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين، ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة ، فهو وارد في إحدى وسبعين آية من عشر ومائة آية؛ ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها، وإلى جوار القصص بعض مشاهد القيامة، وبعض مشاهد الحياة التي تصور فكرة أو معنى، على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير . (٣)

---

(١) ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم . ج١ ، ص١٢٧، ١٢٨. مرجع سابق.

(٢) انظر: التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، ج١، ص٢٩، ط١، سنة ١٤٠٥هـ، طبعة : دار الكتاب العربي – بيروت .

(٣) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، ج٨، ص٤٦٢، ط١، سنة ١٩٩٧م، طبعة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة،.

ثانياً: برز في السورة عنصر الموازنة والمقارنة بين حسن عاقبة الأخيار وسوء عاقبة الأشرار، ترى ذلك في قصة أصحاب الكهف ، وفي قصة الرجلين وفي قصة ذي القرنين.

وفي الآيات التي ذكرت الكافرين وسوء مصيرهم، ثم أعقبت ذلك يذكر المؤمنين وحسن مصيرهم

كما برز فيها عنصر التسلية للرسول (ﷺ) والتهوين من شأن أعدائه، فضلاً عن التصوير المؤثر لأهوال يوم القيامة.

والخلاصة : أن سورة الكهف قد ساقت بأسلوبها البليغ الذي يغلب عليه طابع القصة ألوانًا من التوجيهات السامية، التي من شأنها أنها تهدى إلى العقيدة الصحيحة، وإلى السلوك القويم، وإلى الخلق الكريم، وإلى التفكير السليم الذي يهدى إلى الرشد، وإلى كل ما يوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة. (١)

ثانياً: أهمية الحوار في الإسلام (آدابه وضوابطه)

أ- أهمية الحوار

الحوار في الإسلام من أفضل الطرق الموصلة إلى الحق وبيان الحقائق، وهو سلاح له أهميته، من حيث إقناع الآخرين، ووسيلة من أهم وسائل الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن (٢) قال تعالى:﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ **(سورة النحل من الآية: ١٢٥).**

كما يُعد الحوار من أهم أدوات التواصل الفكري والثقافي والاجتماعي والاقتصادي التي تتطلبها الحياة في المجتمع المعاصر لما له من أثر في تنمية قدرة الأفراد على التفكير المشترك والتحليل والاستدلال .(٣)

والحوار الهادئ المقنع الهادف يفعل – في أغلب الأحيان– ما لا تفعله قوةُ الأسلحة الحربية (الطائرات والمدافع) ، وإذا كان كذلك، وأراد المسلمون أن يحموا أوطانهم، ويحفظوا وحدة

---

(١) راجع: المرجع السابق: ج٨، ص٤٦٣.

(٢) انظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، تحقيق حسين مؤنس، ص٣٦٢، بتصرف يسير، ط ٤، سنة : ١٤١٤هـ – ١٩٩٣ م، طبعة: منشورات دار القلم – دمشق.

(٣) انظر: الحوار مع الأبناء ، عبد المحسن محمد الملحم، ص ٤٥٧بتصرف يسير، مرجع سابق.

أمتهم، فعليهم بالحوار مع الالتزام بآدابه وضوابطه وقواعده وأصوله، كما حث عليها الإسلام في القرآن الكريم والسنة النبوية، مع الأخذ في الاعتبار أن الحوار إذا فشل في حماية الأوطان لابد وأن تكون هناك أيضًا بجانبه وسائل أخرى وأساليب وبدائل جاهزة، وعدم الاعتماد عليه بمفرده كوسيلة منفردة لحماية الأوطان.

ومن أهمية الحوار في الإسلام أنه " يُعطي للاختلاف بُعدًا إنسانيًا يضعه في شكله الطبيعي، ولا يسمح له بالتحول إلى طاقة تدميرية، بل إن الحوار يُخَفِّضُ من مستوى سلبيات الاختلاف، ويرفع من مستوى إيجابياته؛ ليكون الاختلاف في هذا الإطار رحمة وخيرًا، ودافعًا للإصلاح والمراجعة المستمرة، وهذا البُعد يمنح الحوار مضمونًا مصيريًا وموقعًا مهمًا في استمرار الحياة بطعمها المستقر، وإبقاء الجنس البشري بمستوى ما حباه الله من عقل وقدرة على التفكير والاختيار .." (١).

ولن يكون للحوار نتيجة أو أهمية إلا من خلال الوقوف على آدابه ومعرفة ضوابطه، وقواعده مع الالتزام بها من طرفيه أو أطرافه حال حدوثه، وأولى الناس بالتزام ذلك ومعرفته هم الدعاة إلى الله تعالى من أجل النجاح في دعوتهم، واقناعهم لمدعوهم، ويمكن الإشارة إلى أهم هذه الآداب وتلك الضوابط فيما يلي:

ب ـ من آداب الحوار في الإسلام

للحوار في الإسلام آداب كثيرة، تختلف باختلاف حال المُحَاوَر، والموقف والحدث الذي يتطلب حوارًا، هادئًا، يهدف إلى الإقناع، والأخذ بيد المُحَاوَر إلى الهُدى والرشاد، لكن هناك آداب مُجمع عليها، يجب مراعاتها أثناء الحوار مهما كان نوع الموقف، أو طبيعة الشخص المَعْنِي بالحوار من أهمها:

(استحضار النية، والتجرد في طلب الحق، التحلي بالحُسنى في القول، والبُعد عن الجدال المذموم المبنى على التحدي والمِرَاء، واحترام المخالف، ومراعاة حُسن الاستماع قبل مراعاة حُسن الكلام..)(٢).

(١) انظر: قيم الحوار والتعايش في الحوار والتعايش في الرؤية الثقافية الإسلامية، محمد على التسخيري، ص٦٨، ٦٧، مجلة أمة الإسلام العلمية، العدد(١) مارس ٢٠٠٩، طبعة : شركة كاهل للدراسات والطباعة والنشر.

(٢) الحوار في الكتاب والسنة، د: علي جابر وادع، ص٢٥١، ٢٥٢، بحث بمجلة القراء والمعرفة، جامعة عين شمس، كلية التربية، عدد(١٣٢)، أكتوبر سنة ٢٠١٢م.

ولم يترك الإسلام الأمور المتعلقة بآداب الحوار هكذا على عواهنها، وإنما أحاطها بسياجٍ من الضوابط والمُحَصِّنَات التي من شأنها أن تحمي عملية الحوار، وتساعد على الإفادة منه خاصة في مجال الدعوة الإسلامية ، ومن بين أهم هذه الضوابط في الإسلام ما يلي:

ج ـ من ضوابط الحوار في الإسلام

ومن الضوابط التي ينبغي على المُحاور الالتزام بها في الإسلام ويدور البحث حولها ما يلي:

(التزام الطرق العلمية أثناء الحوار، وصحة النقل في الدعوى محل الحوار، وخلو الكلام أثناء عملية الحوار من التناقض، الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مُسَلَّمَة، البُعد عن التعصب، وأن لا يكون الدليل هو عين الدعوى، وأهلية المحاور، وقطعية النتائج ونسبيتها[١]، والرضا والقبول بالنتائج)[٢].

ومن خلال هذه الآداب والضوابط العامة للحوار يمكننا السير في ضوئها، والكشف عن بعضها بجانب بعض الضوابط، والقواعد والأصول الأخرى من خلال بيان أدب الحوار، والوقوف على أثره في الدعوة إلى الله تعالى من خلال سورة مباركة هي سورة الكهف في المباحث والمطالب التالية:

❁ ❁ ❁

(١) يُقصد بنسبية النتائج: على نحو قول القائل (رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب)، فعلى المتحاورين أن يقبل كلٌ منهما الحق الذي هداه إليه مناظره ومحاوره، أو يعترف بأن قوة دليله تُقدِّم ترجيحًا لوجهة نظره، أو لمذهبه، حتى يُكتشف شيء آخر يُضعف دليله، ويجعله غير صالح للترجيح، أما الإصرار على الرفض فمكابرة ممنوعة، وأما المراوغة فهي تهرب وانسحاب من مجلس المناظرة. انظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص٣٧٣، بتصرف يسير، مرجع سابق.

(٢) راجع: الحوار في السنة وأثره في تكوين المجتمع، تيسير محجوب الفيتاني، ص٣٨، بدون بيانات.

المَبْحَثُ الأَوَّل

آدَابُ الحُوَارِ من خلال سورة الكهف وَدَوْرُهَا فِي الجدال العقدي، والفكري

اشتملت سورة الكهف على بعض آداب الحوار السامية والمحمودة والمطلوبة عند دعوة غير المسلمين، والسعي لتصحيح المعتقد الديني الخاطئ لديهم وهدايتهم إلى الحق؛ لذا وجدنا في مطلع السورة الكريمة أنموذجًا رائعًا لفتية آمنوا بربهم توغل هذا الإيمان في قلوبهم وتشبعَّتْ به نفوسهم ؛ فرفضوا ما يعتقده قومهم من عبادة غير الله؛ فذكرت لنا السورة الكريمة ما دار بينهم من حوار هادئ يُبين مدى غيرتهم على دينهم ومحاولتهم لهداية قومهم إلى الحق، نموذج فريد لدعاة شباب أحوج ما يكون إليه دعاة اليوم، وبخاصة شبابنا الدعاة في قطاع أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر، منارة العلم والعلماء في مستقبل العصر الحاضر.

هذا ولا شك من وجود عَلاقة وثيقة بين المعتقد الديني، والنظر والفكر والثقافة التي يحيا بها الداعي أو المدعو على السواء؛ وما ينبغي أن يتحلى ويلتزم به الداعي والمدعو، أو العالم والمتعلم من آداب وقواعد أثناء الحوار بينهما، أو أثناء فترة التعلم والدعوة، إذا أردنا تغيير قناعات وأفكار وثقافة أفراد بعينهم تغييرًا إيجابيًا منشودًا؛ إذ تأخذُنا السورةُ الكريمة إلى نموذج رائع، وساحة عَرْضٍ مليئة بالمفاجئات غير المتوقعة من عبد صالح (سيدنا الخضر)، وردود أفعال من نبي مُرْسَل (سيدنا موسى عليه السلام) كلها جاءت عبر حوار هادف صَوَّرَتْ لنا السورة الكريمة أحداثه وما دار فيه بينهما بهدف التغيير الفكري والثقافي .

والسؤال الذي يطرح نفسه ما هي الآداب التي اشتمل عليها الحوار بين أصحاب الكهف في النموذج الأول؟ وما هي الآداب التي اشتمل عليها الحوار الثاني بين (سيدنا موسى عليه السلام)، والعبد الصالح (سيدنا الخضر)؟ وماهي الضوابط والأسس والقواعد التي بُنِيَ عليها الحوار في النموذجين من أجل تصحيح المعتقد، أو الجدال الفكري والثقافي للصورة الظاهرية للمواقف الحياتية المختلفة؟

هذا ما سنقف علي بيانه ونُوضِّحُهُ ونُجِيبُ عليه من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: آداب الحوار ودورها في الجدال العقدي (أصحاب الكهف أنموذجًا).

المطلب الثاني: آداب الحوار ودورها في الجدال الفكري (موسى والخضر أنموذجًا).

❁ ❁ ❁

المطلب الأول

آداب الحوار ودورها في الجدال العقدي (أصحاب الكهف أنموذجاً)

إن لكل سورة من سور القرآن الكريم محور تدور حوله آيات وموضوعات السورة الكريمة، والمحور الموضوعي والأساسي لسورة الكهف باعتبار أنها مكية النزول هو تصحيح الاعتقاد واتباع الدين الصحيح، كعادة الوحي المكي مَعْنِي بالدعوة إلى وحدانية الله وترك الشرك، وهذا ما توضحه (قصة أصحاب الكهف) وتؤكد عليه.

ولا شك أن هذا التصحيح والتغيير جاء في القصة عبر أسلوب رائع هو (أسلوب الحوار وتبادل الرؤى بين أفراد وشخصيات القصة) وهذا ما نوضحه في ثنايا الصفحات التالية.

لكني أؤكد أن التغيير العقدي، وتصحيح الاعتقاد أخذ حيزًا كبيرًا من آيات السورة الكريمة ليس في قصة أصحاب الكهف وفقط بل في آيات كثيرة من السورة ومنها على سبيل المثال لا الحصر، بداية السورة ونهايتها تُقرر ذلك ؛ فبَدَأَتْ السورةُ المباركةُ بقول الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ **(الكهف: ١– ٥)**، وفي نهايتها قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠ ﴾ **(الكهف: ١١٠)**، وبهذا يظهر لنا مدى الاتساق والتناغم بين بداية السورة ونهايتها في الدعوة إلى وحدانية الله، وعدم الإشراك به، وتصحيح المعتقد، واتباع ما جاء به الوحى، ونفي الشريك والولد عن الله، وأنه ليس كمثله شيء, ولا شك أن هذا المعنى أصل من أصول الدعوة الإسلامية، وركن أصيل من أركان الإسلام والإيمان.

وتلمس آيات السورة المباركة بسياقها هذا الموضوع مرات كثيرة في صور شتى، ومن بين هذه الصور والنماذج (قصة أصحاب الكهف) [1] والذي نحن بصدد الحديث عنها لبيان هذا الأمر.

---

(١) أصحاب الكهف: هم قوم من أبناء أشراف مدينة دقيوس الملك الكافر ويقال فيه دقليوس ويقال دقينوس وروي أنهم كانوا مطوقين مسورين بالذهب وهم من الروم واتبعوا دين عيسى، وقيل كانوا قبل عيسى وأما أسماؤهم فهي أعجمية والسند في معرفتها واه ولكن التي ذكر الطبري هي هذه مكسيليمنيا وهو اكبرهم والمتكلم عنهم ومجسيلينيا وتمليخا وهو الذي مضى بالورق إلى المدينة عند بعثهم من رقدتهم مرطوس وكشوطونس وبيرونس ودينموس ويطونس، واختلف الرواة في قصص هؤلاء الفتية وكيف كان اجتماعهم وخروجهم إلى الكهف، وأكثر المؤرخون في ذلك روى مجاهد عن ابن عباس أن هؤلاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الأصنام ويذبح لها ويكفر بالله وقد تابعه=

وقد ساقت سورة الكهف فيما يقرب من عشرين آية قصة أصحاب الكهف، فحكت أقوالهم عندما التجأوا إلى الكهف، وعند ما استقروا فيه واتخذوه مأوى لهم، كما حكت جانبًا من رعاية الله تعالى لهم ، ورحمته بهم .. ثم صورت أحوالهم وهم رقود، وذكرت تساؤلهم فيما بينهم بعد أن بعثهم الله – تعالى – من رقادهم الطويل، وإرسالهم أحدهم إلى المدينة لإحضار بعض الأطعمة، وإطلاع الناس عليهم، وتنازعهم في أمرهم، ونهى الله – تعالى – عن الجدال في شأنهم، كما ذكرت المدة التي لبثوها في كهفهم. (١)

ومن خلال ما سبق يمكن القول: بأن هذا المطلب يتعرض لهذه الجزئيات وإبراز أهم آداب الحوار و دورها في تصحيح المعتقد الفاسد عبر الجدال بالتي هي أحسن ، مع بيان أثرها الفعال في الدعوة والإرشاد والهداية إلى الحق والرشاد من خلال هذه القصة لتلكم الفتية.

=على ذلك أهل المدينة فوقع للفتية علم من بعض النحويين حسب ما ذكر النقاش أو من مؤمني الأمم قبلهم بحسب الخلاف الذي ذكرناه فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله فرفع أمرهم إلى الملك وقيل له إنهم قد فارقوا دينك واستخفوا آلهتك وكفروا بها فاستحضرهم الملك في مجلسه وأمرهم باتباع دينه والذبح لآلهته وتوعدهم على فراق ذلك بالقتل فقالوا له فيما روي " ربنا رب السماوات والأرض ".=

=وقيل أصحاب الكهف: هم نفَر من صالحي الأمم السالفة ثبتوا على دين الحق في وقت شيوع الكفر والباطل فانزووا إلى الخلوة تجنباً لمخالطة أهل الكفر قيل: نشأوا في بلد يقال له (أَبسُس) بفتح الهمزة وسكون الموحدة وضم السين بعدها سين أخرى مهملة وكان بلداً من ثغور طرسوس بين حلب وبلاد أرمينية وأنطاكية .

وليست هي (أفسس) بالفاء أخت القاف المعروفة في بلاد اليونان بشهرة هيكل المشتري فيها فإنها من بلاد اليونان وإلى أهلها كتب بُولس رسالته المشهورة . وقد اشتبه ذلك على بعض المؤرخين والمفسرين . وهي قريبة من (مَرْعش) من بلاد أرمينية ، وكانت الديانة النصرانية دخلت في تلك الجهات ، وكان الغالب عليها دين عبادة الأصنام على الطريقة الرومية الشرقية قبل تنصر قسطنطين ، فكان من أهل (أبسُس) نفر من صالحي النصارى يقاومون عبادة الأصنام . وكانوا في زمن الأنبراطور (دوقيوس) ويقال (دقيانوس) الذي ملك في حدود سنة ٢٣٧ م، وكان ملكه سنة واحدة، وكان متعصباً للديانة الرومانية وشديد البغض للنصرانيّة ، فأظهروا كراهية الديانة الرومانية، وتوعدهم دوقيوس بالتعذيب ، فاتفقوا على أن يخرجوا من المدينة إلى جبل بينه وبين المدينة فرسخان يقال له (بنجلوس) فيه كهف أووا إليه وانفردوا فيه بعبادة الله ، ولما بلغ خبر فرارهم مسامع الملك وأنهم أووا إلى الكهف أرسل وراءهم فألقى الله عليهم نومةً فظنهم أتباعُ الملك أمواتاً.

انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، ج٣، ص٥١٩،الطبعة: الأولى، ط: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م، والتحرير والتنوير المؤلف : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور،ج١٥، ص ٢٦٢، ٢٦٣، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.بدون رقم طبعة.

(١) انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي،ج٨، ص ٤٦٠، بتصرف، مرجع سابق.

ومن خلال التأمل في هذا الآيات والرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة ظهرت جملة من الآداب الحوارية لها دور مهم في الجدال العقدي، وأثر واضح في الدعوة إلى الله تعالى من خلال هذه القصة يمكن إجمالها فيما يلي :

أولاً: دور آداب الحوار في الجدال العقدي من خلال قصة أصحاب الكهف

اشتملت قصة أصحاب الكهف على مجموعة من الآداب كان لها الأثر في الجدال العقدي الذي وقع بينهم وبين الملك الذين عاشوا في عهده من جانب، وبينهم وبين قومهم من جانب آخر، ويمكن الوقوف على بعض هذه الآداب وبيان أثرها في عملية الحوار ثم بيان مدى الإفادة منها فيما يلي:

١ـ إخلاص النية والتجرد أثناء الحوار مع مناجاة الله وحُسن التوكل عليه

(إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾) (الكهف: ١)

ومن أمثلة المناجاة لله ما جاء في حوار شخصيات أهل الكهف في أنفسهم من خلال هذه الآية الكريمة فيعبر الحوار الداخلي الذي يقيمه أصحاب الكهف في نفوسهم عن الجهد المضنى الذي بذلوه في سبيل الحفاظ على دينهم تجاه قومهم المشركين، فما كان منهم إلا أن يفروا بدينهم إلى الكهف للمحافظة على الإيمان الذي توطد في نفوسهم وخوفًا من ضياعه وسط شرك القوم الذين يعيشون معهم فما كان منهم إلا أن يناجوا الله تعالى قائلين (رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ) (الكهف: ١٠) وتميزت هذه المناجاة بقصر العبارة واحتوائها على المعنى المباشر[1]، والتجرد من أجل الوصول إلى الحق، جعل أصحاب الكهف يلجؤون إلى الله بالدعاء وتجسد هذا التجرد في قولهم : (وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا) (الكهف: ١٠) لما فروا ممن يطلبهم اشتغلوا بالدعاء ولجئوا إلى الله تعالى فقالوا: (رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ)أي مغفرة ورزقًا (وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا)

(١) انظر: أنماط الحوار ووظائفه في القصة القرآنية (قصص سورة الكهف أنموذجًا)، د. يوسف سليمان الطحان، ج١٢، ص٣٨٠، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد(٤)، لسنة٢٠١٣م، جامعة الموصل ، العراق.

(الكهف: ١٠) توفيقًا للرشاد، وقال ابن عباس: مخرجًا من الغار في سلامة، وقيل صوابًا، ومن هذا المعنى أنه عليه السلام **كان إِذَا حَزَبَهُ أَمْر فَزِعَ إِلَى الصَّلَاة.** [١] [٢].

اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفِتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه ، فقال بعضهم: كان سبب ذلك، أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى، وكان لهم ملك عابد وَثَن، دعاهم إلى عبادة الأصنام، فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم، أو يقتلهم، فاستخفوا منه في الكهف..[٣].

قال القرطبي: وهذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة.. ، فهؤلاء الفتية هجروا أوطانهم وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وقراباتهم وإخوانهم، رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين فسكْنَى الْجِبَالِ ودخول الْغِيرَانِ، والعُزْلَةُ عن الخلق والانفراد بالخالق، وجواز الفرار من الظَّالمِ هي سنَّةُ الأَنْبِيَاء صلوات اللَّه عليهِم والْأَوْلِيَاءِ وقد فضل رسولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم العُزلة، وفضلها جماعة العلماء لا سيما عند ظهُورِ الْفِتَنِ وَفَسَادِ النَّاسِ، وقد نَصَّ اللَّهُ تعالى عليها في كتابه فقال:" فأووا إلى الكهفِ". [٤].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه بسنده عن حذيفة، كتاب التطوع، باب وقت قيام النبي . صلى الله عليه وسلم من الليل، ج١، ص٥٠٧، حديث رقم (١٣٢١)، واللفظ عنده (كَانَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى)، وقال : الحديث صحيح، طبعة : دار الكتاب العربي . بيروت، بدون تاريخ، والبيهقي في شعب الإيمان، كتاب الصلاة، باب تحسين الصلاة والإكثار منها ليلاً ونهارًا، ج٤، ص٥١٧، حديث رقم (٢٩١٣). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، طبعة: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج١٠، ص٣٦٢، بتصرف يسير، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م ، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت(٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ج١٧ ، ص ٦٠٥، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ط: مؤسسة الرسالة بيروت .

(٤) راجع: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، ، ج١٠، ص٣٦٠، بتصرف يسير، مرجع سابق.

وقال العلماء الاعتزال عن الناس يكون مرة في الجبال والشعاب، ومرة في السواحل والرباط، ومرة في البيوت، وقد جاء في الخبر: " إذا كانت الفتنة فأخف مكانك وكف لسانك". ولم يخص موضعا من موضع ،. وروى البغوي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**المُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ المُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**)[1]،[2] واليقين، مع الثبات، والتمكن أهم آداب ينبغي أن يتحلى بها الدعاة في العصر الحاضر من أجل التغيير، وتصحيح المفاهيم وإقامة المعوج من السلوك، فضلاً عن المعتقد لدى الشخص المُحَاوَر، لكن من بين الآداب الحوارية أيضًا في هذه القصة اليقين في الفكرة محل الحوار والتمكن منها، ويمكن إبراز هذا الأدب من خلال العنصر التالي:

٢ـ اليقين في الفكرة محل الحوار والتمكن منها

قال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ **(الكهف: ١٣)**

فحقيقة هؤلاء أنهم فتية آمنوا بالله، وهذه قضيتهم التي ضَحَّوْا من أجلها، فلما آمنوا بالله تولاّهم ونوَّر بصائرهم وربط على قلوبهم، وزادهم إيماناً، وزيادة الهدى يجوز أن يكون تقوية هدى الإيمان المعلوم من قوله: آمنوا بربهم بفتح بصائرهم للتفكير في وسائل النجاة بإيمانهم وألهمهم التوفيق والثبات، فكل ذلك هدى زائد على هدى الإيمان.

ويجوز أن تكون تقوية فضل الإيمان بفضل التقوى كما قال في آية أخرى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ **(محمد : ١٧).**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب، باب ٥٥ ما جاء في أوني الحوض، حديث رقم(٢٥٠٧)، والبيهقي في شعب الإيمان، باب في الصبر على المصائب وعما تنزع إليه النفس من لذة وشهوة، ج١٢، ص٢٠١، حديث رقم (٩٢٧٧)، وقال صاحب مشكاة المصابيح حديث صحيح، انظر: مشكاة المصابيح، المؤلف : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ،ج٣، ص١٠٣، حديث رقم (٥٠٨٧)، الطبعة : الثالثة – سنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م، طبعة : المكتب الإسلامي – بيروت.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، ج١٠، ص٣٦٣، بتصرف.

وما أشبه هذه المسألة بالمعلِّم الذي يلمح أمارات النجابة والذكاء على أحد تلاميذه، ويراه مُجيباً حريصاً على العلم فيُولِيه اهتمامه ويمنحه المزيد من المعلومات . (١)

ونلاحظ هنا: أن هؤلاء المؤمنين الذين ضَحَّوْا بكلِّ شيء وفرُّوا بدينهم ما زالوا في مرحلة الشباب، وهو مظنّة الانشغال بالدنيا والحِرْص على مُتعها، أما هؤلاء فقد انشغلوا بدينهم منذ صِغَرهم ليكونوا قدْوة ومثَلا للشباب المؤمن في كل زمان ومكان، فالفتاء في أهل الكهف: فتاء إيمان وفتاء عقيدة، **وفتاء تمثل في اليقين بالفكرة جعلها تتمكن من قلوبهم، وزادت بالإيمان والهدى.**

٣ـ تحديد الهدف من القضية محل الحوار بعزم، والموضوعية في عرضها بإيجاز

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ **(الكهف : ١٤)**

إن أصحاب الكهف استطاعوا أن يحددوا الهدف من قضيتهم بعزم، بل واستنارت قلوبهم بهذا الهدف وهو توحيد الله، والاعتراف بالربوبية الخالصة بذاته.

يقول القرطبي مصورًا هذا الأدب لدى أصحاب الكهف عند تفسيره لهذه الآية: " أي وألهمناهم قوة العزيمة، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان، حتى عزفت نفوسهم عما كانوا عليه من خفض العيش والرغبة عنه، وقالوا حين قاموا بين يدى الجبار (دقيانوس) (٢) إذ عاتبهم على تركهم عبادة الأصنام – ربنا رب السموات والأرض ورب كل مخلوق.

ثم أردفوا تلك المقالة بالبراءة من إله غيره فقالوا : ﴿ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً ﴾ أي لن ندعو من دون رب السموات والأرض إلها، لا على طريق الاستقلال ولا على سبيل الاشتراك ، إذ لا رب غيره ولا معبود سواه.

ثم عللوا عدم دعوتهم لغيره بقولهم:﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ أي إنا إذا دعونا غير الله ، لقد أبعدنا عن الحق ، وتجاوزنا الصواب، وفى هذا إيماء إلى أنهم دُعُوا لعبادة الأصنام وليموا على تركها (٣).

---

(١) راجع: التحرير والتنوير،ج١٥، ص٢٧١، بتصرف، مرجع سابق.

(٢) اسم الملك الذي عاصروه وعاشوا في عهده ، وكان ملك وثني مشرك كما ذكرت كتب التفسير.

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، ج١٠، ص٣٦٦، بتصرف.

وهذا هو جوهر هذا الأدب العالي من آداب الحوار في السورة المباركة ، فتحديد الهدف من قضية الحوار يوفر المزيد من الجهد والوقت.

ويمكن القول بأن : قوله – سبحانه –﴿لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً﴾ تأكيد لبراءتهم من كل عبادة لغير الله – تعالى –" [1]، وهذا هو الجدال العقدي المحمود من قِبل أصحاب الكهف لتصحيح المعتقد الفاسد.

٤ـ صحة النقل في الدعوى محل الحوار مع إقامة الدليل

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾ **(الكهف : ١٥)**

إذا كنت ناقلاً فالصحة أو مدعيًا فالدليل، مقولة مشهورة تربينا عليها في البحث العلمي، وكذلك تُعد أهم أدوات المناظر الجيد، والمحاور المتمكن هو من يستطيع إجادة إقامة الدليل، على صحة دعواه أثناء المحاورة ، أو المناظرة.

حتى وجدنا علماء البحث العلمي ، والمناظرة يقولون: " يجب على المتحاورين التزام الطرق المنطقية السليمة في الحوار ولا يكون ذلك إلا من خلال أمرين **أولهما:** تقديم الأدلة المثبتة والمُرَجِّحة للأمور المُدَّعَاة، **ثانيهما:** إثباتُ صحةِ النقلِ للأمور المنقولة المروية، ومن هذين الأمرين أخذ علماء فن أدب البحث والمناظرة، قاعدتهم المشهورة التي يقولون فيها (إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعيًا فالدليل). [2]

وأصحاب الكهف التزموا هذه القاعدة وتأدبوا بهذا الأدب الراقي، الدال على الفهم العميق لأبعاد قضيتهم، حتى طلبوا من قومهم تطبيق هذه القاعدة بفطرتهم النقية السليمة فقالوا كما ورد في تفسير هذه الآية : (أي: هَلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلا واضحًا صحيحًا؟!﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ يقولون: بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك، فيقال: إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله، أبى عليهم، وتَهَدّدهم وتوعدهم، وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوى ،ج٨، ص ٤٨١، بتصرف. مرجع سابق.

(٢) انظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حبنكة ، ص٣٦٥، بتصرف يسير، مرجع سابق.

من زينة قومهم، وأجَّلهم لينظروا في أمرهم، لعلهم يراجعون دينهم الذي كانوا عليه. وكان هذا من لطف الله بهم، فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه. والفرار بدينهم من الفتنة.

وهذا هو طريق الاعتقاد : أن يكون للإنسان دليل قوي يستند إليه ، وبرهان له سلطان على النفوس والعقول . وإلا فهو الكذب الشنيع ، لأنه الكذب على الله : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وإلى هنا يبدو موقف الفتية واضحاً صريحاً حاسماً ، لا تردد فيه ولا تلعثم . . إنهم فتية ، أشداء في أجسامهم ، أشداء في إيمانهم . أشداء في استنكار ما عليه قومهم .(١)

وقيل: " لما وحدوا الله تعالى ورفضوا ما دونه من الآلهة أخذوا في ذم قومهم وسوء فعلهم وأنهم لا حجة لهم في عبادة غير الله ، ثم عظموا جرم من افترى على الله كذباً وهذه المقالة يحتمل أن قالوها في مقامهم بين يديّ الملك تقبيحاً لما هو وقومهم عليه، وذلك أبلغ في التبرّي من عبادة الأصنام ، وأفتّ في عضد الملك إذا اجترؤوا عليه بذم ما هو عليه، ويحتمل أن قالوا ذلك عند قيامهم للأمر الذي عزموا عليه.."(٢)

ثم يأتي أدب أخر من آداب الحوار في هذه القصة يؤكد على منهج أصحاب الكهف وجهدهم المُضني في تصحيح المعتقد السائد بين قومهم وملكهم، فبدأوا يتحدثون فيما بينهم بتغيير طريقتهم في دعوة قومهم إلى عبادة الله فوجدنًا أدبًا سادسًا من أهم آداب الحوار والمتمثل في التدرج في إقامة الحجة أثناء الحوار.

٥- التدرج في الحوار : ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ **(الكهف : ١٦)**

إن التدرج في إقامة الحُجة أثناء الحوار متناولاً نقطة نقطة، أو جزءًا جزءًا، والتنوع في أدائها مع التزام منهج النصح والإرشاد في أجزاء متفاوتة من الوقت المحدد للحوار ، يؤدي إلى وضوح الرؤية، وأن يكون للحوار ثمرة نافعة، وإيراد الحجج والبراهين دفعة واحدة قد يؤدي إلى إملال

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم ، للإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ] ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ،ج٥، ص ١٤١، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ط : دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٢) انظر : تفسير البحر المحيط، المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق مجموعة : د.زكريا عبد المجيد النوقي ـ د.أحمد النجولي ـ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض ،ج٦، ص ١٠٢، الطبعة : الأولى سنة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، ط: دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت.

الطرف الأخر وإرهاقه، فلا يكون قادرًا على الاستيعاب، ولا يكون قادرًا على المناقشة وهذا مناف للمنهج العلمي في الحوار. (١)

يتعين أن يكون هذا من كلام بعضهم لبعض على سبيل النصح والمشورة الصائبة، وليس يلزم في حكاية أقوال القائلين أن تكون المحكيات كلها صادرة في وقت واحد، فيجوز أن يكونوا قال بعضهم لبعض ذلك بعد اليأس من ارعِواء قومهم عن فتنتهم في مقام آخر . ويجوز أن يكون ذلك في نفس المقام الذي خاطبوا فيه قومهم بأن غيروا الخطاب من مواجهة قومهم إلى مواجهة بعضهم بعضاً، وهو ضرب من الالتفات . فعلى الوجه الأول يكون فعل (اعتزلتموهم) مستعملاً في إرادة الفعل مثل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ **(المائدة: ٦)**، وعلى الوجه الثاني يكون الاعتزال قد حصل فيما بين مقام خطابهم قومهم وبين مخاطبة بعضهم بعضاً، وعلى الاحتمالين فالقرآن اقتصر في حكاية أقوالهم على المقصد الأهم منها في الدلالة على ثباتهم دون ما سوى ذلك ممّا لا أثر له في الغرض وإنما هو مجرد قصص .

والاعتزال : التباعد والانفراد عن مخالطة الشيء ، فمعنى اعتزال القوم ترك مخالطتهم . ومعنى اعتزال ما يعبدون : التباعد عن عبادة الأصنام. (٢).

وعند عدم الوصول إلى نتيجة مع الطرف المُحاور في قضية ما لا بد من حسم الحوار، والانشغال بما يفيد، فيأتي الأدب السابع من آداب الحوار في هذه القصة بهذا العنوان:

٦. حسم الحوار بإرجاع العلم والدراية إلى علم الله تعالى والانشغال بما يُجْدِي ويُفيد

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ١٧﴾**(الكهف: ١٧)**

إن المتأمل في قوله تعالى: (قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ)، **وقوله**: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ ٢٢﴾ (الكهف: ٢٢) يجد هذا الأدب واضحًا فضلاً عن أننا نلاحظ عندما " نقرأ هاتين الآيتين الكريمتين المصورتين لمشهد حوار بين فتية أُوقظوا أو بُعثوا بعد

(١) أدب الحوار، عبد العزيز خياط، ص٤٩ ، ط١: ٢٠٠٧ طبعة : وزارة الثقافة سلسلة الفكر. جامعة كاليفورنيا.

(٢) راجع : التحرير والتنوير،ج١٥، ص ٢٧٦، مرجع سابق .

اختفائهم في الكهف فرارًا بدينهم وعقيدتهم من أذى الجبابرة العُتاة، فلا نَحُسُ صياحًا أو صُراخًا، ولا نلمس صراعًا أو عِنادًا، ولا نجد من يُكذب أو يدحض ولا نسمع الأيمان تصك الآذن، وإنما نحس الهدوء والصفاء، والاقتناع، والانصياع، وإرجاع الأمر إلى علم الله تعالى، ثم الاشتغال بما يجدي ويفيد..(قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ).

ثم تُطالعنا الصورة الكريمة بمشهد اختلاف الناس في عدد أصحاب الكهف، ويتحاورون، وتحكي السورة ما سيكون بينهم من حوار، وتُعلم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ، والمسلمين جميعًا المنهج السديد في الحوار إزاء شيء لا يعلم أبعاده الحقيقية إلا الله ، فترشد إلى وجوب إنهاء الخلاف، أو حسم الحوار بإرجاع العلم والدراية إلى علم الله تعالى، فذلك صمام أمان يقي المتحاورين الخصومة والشنأن ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ " [1].

إن الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقضي بأن الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة وإلا لقيل ثم قالوا ربنا أعلم بما لبثنا.. [2].

﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ أزكى :أي أَحَلّ، فإن أهل المدينة كانوا في عهدهم يذبحون للطواغيت كما روى سعيد بن منصور وغيره عن ابن عباس ، وفي رواية أخرى أنهم كانوا يذبحون الخنازير ، وقال الضحاك : إن أكثر أموالهم كانت مغصوبة فأزكى من الزكاة وأصلها النمو والزيادة وهي تكون معنوية أخروية وحسية دنيوية وأريد بها الأولى لما في توخي الحلال من الثواب وحسن العاقبة ، وقال ابن السائب . ومقاتل : أي أطيب فإن كان بمعنى أحل لأنه يطلق عليه رجع إلى الأول وإن كان بمعناه المتبادر فالزيادة قيل حسية دنيوية ، وقال عكرمة : أي أكثر [3].

---

(١) من أدب القرآن الكريم: (من صور الحوار في سورة الكهف)، عبد الغني أحمد ناجي، مقال بمجلة الوعي الإسلامي، العدد(٢٥٣)، محرم ١٤٠٦هـ، ص١١.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي،ج١١، ص١٨٦، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ، وبدون رقم طبعة.

(٣) المرجع السابق،ج١١، ص١٨٧، بتصرف يسير.

وفي قوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢ ﴾ **(الكهف: ٢٢)**.

أي فائدة تُرجى من الجدال في شأن عدد الفتية فالانشغال بما يفيد ويُجدي أولى ، " وإنه ليستوي أن يكونوا ثلاثة أو خمسة أو سبعة، أو أكثر وأمرهم موكول إلى الله، وعلمهم عند الله، وعند القليلين الذين تثبتوا من الحادث عند وقوعه أو من روايته الصحيحة، فلا ضرورة إذن للجدل الطويل حول عددهم" [(١)].

ومما يُجدي يُفيد إدراك المحاور الجيد لطبيعة الموقف الذي يدور من أجله الحوار، وطبيعة شخصية الطرف المُحاوَر؛ لذا كان الأدب الثامن والمستوحى من باطن آيات القصة، أتى بعنوان:

٧ ـ إدراك طبيعة الموقف وطبيعة الخصم

﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا ﴾**(الكهف: ٢٠)**.

تُقدم لنا هذه الآية الكريمة أدبًا من آداب الحوار يتمثل في إدراك أبعاد الموقف أثناء الحوار والآثار المترتب عليه، وفهم طبيعة الخصم، حيث " يقدم الحوار بين أصحاب الكهف التحليل المعمق لمَا سيحدث عندما لا يأخذ المشتري للطعام الحيطة والحذر بأنهم سيواجهون القوم وشدتهم إما بالرجم أو الالحاح في التنازل عن دينهم واتباع دين قومهم، ومن هنا لن يفلح هؤلاء الفتية في مسعاهم فالتزام الحيطة والحذر أمر مهم ، وواجب نبه عليه أصحاب الكهف، وأكدوا عليه في حوارهم فيما بينه [(٢)]

﴿ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ ﴾ ، أي يُصيروكم إليها ويدخلوكم فيها مكرهين ، والعود في الشيء بهذا المعنى لا يقتضي التلبس به قبل ، وروي هذا عن ابن جبير، وقيل العود على ظاهره ، وهو رجوع الشخص إلى ما كان عليه ، وقد كان الفتية على ملة قومهم في بادئ الأمر، وإيثار كلمة في على كلمة إلى ، قال بعض المحققين للدلالة على الاستقرار الذي هو أشد كراهة ، وتقديم احتمال الرجم على احتمال الإعادة لأن الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي إليه ،

---

(١) راجع: تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، ج١٥، ص٢٩٤، مرجع سابق.

(٢) راجع: أنماط الحوار ووظائفه في القصة القرآنية، قصص سورة الكهف أنموذجًا، يوسف الطحان، ص٣٧٨، بتصرف، مرجع سابق.

وضمير الخطاب في المواضع الأربعة للمبالغة في حمل المبعوث على ما أريد منه، والباقين على الاهتمام بالتوصية .

﴿ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾، أي إن دخلتم فيها حقيقة ولو بالكره والإلجاء لن تفوزوا بخير لا في الدنيا ولا في الآخرة .[1] .

ومن خلال ما سبق يمكن القول: بأن أصحاب الكهف فَطِنُوا لما سيحدث مستقبلًا لو أن قومهم عثروا عليهم ، وأمسكوا بهم فأدركوا حقيقة الموقف، ثم هم أدركوا أيضًا شخصية الملك وأنه يريد صدهم عن عبادة الله وردهم عند دينهم، ومن خلال هذا الإدراك استطاعوا أن يجدوا الحل السديد لما هم فيه.

وبعد هذا العرض لأهم آداب الحوار في قصة أصحاب الكهف ، لابد من إبراز الأثر المترتب على معرفة هذه الآداب ومدى ارتباطها بالدعوة الإسلامية، وما ينبغي على الدعاة فعله حيال هذه الآداب فإذا تم فيما سبق التوصيف والتشخيص؛ فها هو مجال التوظيف من خلال ما يلي:

ثانياً:أثر هذه الآداب الحوارية في الدعوة إلى اللّه تعالى من خلال قصة أصحاب الكهف

أ ـ تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى الشباب في العصر الحاضر: أنه يمكن للدعاة إلى الله تعالى **الاستعانة بهذه الآداب** في دعوة الشباب إلى الله تعالى وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لديهم في العصر الحاضر، وحقيقة الأمر أن لهذه الآداب أثر إيجابي وفعال في القصة الحالية وخاصة وأن أبطالها شباب (فتية)، لكن يبقى على الجهات التربوية الأخرى مساعدة الدعاة في القيام بهذا المهمة .

فتعليم الشباب أدب الحوار والاختلاف مع العلماء مسؤولية الأسرة والجامعة ، والمدرسة ، والنادي الثقافي ، والإعلام، وإذا كان مطلوبًا من الشباب المسلم اليوم أن يتعلم آداب الحوار كما وردت في سورة الكهف، وبخاصة في قصة أصحاب الكهف هؤلاء الفتية المؤمنة الشابة؛ فإنه ينبغي على الداعية أن يفهم أولاً مشكلات الشباب في العصر الحاضر، ولغتهم في التعامل، ثم التعامل معها وفق ما ورد من آداب سلف ذكرها من خلال هذه القصة المباركة.

ب ـ الجدال العقدي المحمود وسيلة من وسائل الدفاع عن الإسلام: أى أن معرفة هذه الآداب من شأنها أن تُوجد المسلم المثقف الواعي الحريص على نفع دينه وأمته ووطنه، صاحب

(١) روح المعاني، الألوسي،ج١١، ص١٨٩، بتصرف يسير مرجع سابق

الفكر المعتدل، والبعيد عن التعصب والغلو، المنتبه للإلحاد المعاصر في شتى صوره وأشكاله، بل ومواجهته من خلال استخدام بعض هذه الآداب أثناء التحاور مع أربابه، والدفاع عن الإسلام.

ج ـ التنوع المُلاحظ بين هذه الآداب الحوارية في هذه القصة دليل نجاح، وحسم الجدال المحمود في الجانب المتعلق بالمعتقد، والدعوة إلى الله تعالى تحتاج مثل هذه السمة المهمة والمتمثلة في **(ضرورة التنوع في استعمال آداب الحوار أثناء التحاور)**، ولا شك أن هذا يترك أثرًا إيجابيًا في نفس المدعو، والوصول به إلى الغاية المنشودة من الدعوة إلى الله تعالى، وهي الالتزام بالمحامد من الأمور والاستقامة عليها، والبعد عن أرذلها، ومقابحها، وهو المراد من كلمة (أدب).

د . خاتمة أصحاب الكهف كانت دعوة إلى الله: إن العبرة في خاتمة هؤلاء الفتية بها دلالة صريحة على **(البعث)** بِمَثل واقعي قريب محسوس، يُقرب إلى الناس قضية البعث؛ والتأكيد على أن هناك إله واحد قادر على إحياء الموتى، وهذا دليل عملي ـ وبالعين مرئي ـ على صدق اعتقاد هؤلاء الفتية في الإله الخالق، كما أنه دليل على أن كل حركة وكل نأمة ، بل كل نَفَسٍ من أنفاس الحي، مرهون بإرادة الله، وهذا من شأنه أن يمد الدعاة في دعوتهم إلى الله في العصر الحاضر بالثقة والقوة والاطمئنان والعزيمة، ويترك أثرًا إيجابيًا في نفوسهم، وصدق من قال : (من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه)، و (من حَسُنت بداياته، حَسُنت نهاياته) قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾(فصلت: ٣٣)

المطلب الثاني

آداب الحوار و دورها في الجدال الفكري (موسى والخضر أنموذجاً)

انتقلت السورة الكريمة إلى بيان نموذج آخر من نماذج التغيير و(تصحيح منهج الفكر والنظر) في المواقف والأحداث من خلال الاطلاع على خبايا العلم اللدُنِّي[1] من خلال قصة مهمة هي (قصة موسى والخضر [2] عليهما السلام)، وقد نالت هذه القصة تلك المكانة والأهمية التي جعلتها تتقدم على القصة التي تليها هي (قصة ذي القرنين) لاشتمالها على الحوار الهادف إلى العلم والتعلم، وتصحيح الفكر والنظر.

يقول الطاهر بن عاشور: " وقدم لقصة ذي القرنين قصة أهم منها وهي قصة موسى والخضر– عليهما السلام–، لأن كلتا القصتين تشابهتا في السفر لغرض شريف؛ فذو القرنين خرج

---

(١) يقصد بالعلم اللدُنِّي: العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهاماً بلا سبب من العبد، ولهذا سُمي لدنيًّاً، وقيل الحكمة قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦٩، وقيل: هو العلم الذي تعلّمه العبد من الله تعالى من غير واسطة ملك ونبي بالمشافهة والمشاهدة، كما كان للخضر عليه السلام. قال تعالى: (وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا)، وقيل هو معرفة ذات الله تعالى وصفاته علما يقينيا من مشاهدة ببصائر القلوب، وقال ابن عجيبة في تفسيره العلم اللدني : هو الذي يفيض على القلب من غير اكتساب ولا تعلم، وذلك بعد تطهير القلب من النقائص والرذائل، وتفرغه من العلائق والشواغل ، فإذا كمل تطهير القلب، وانجذب إلى حضرة الرب، فاضت عليه العلوم اللدنية، والأسرار الربانية، منها ما تفهمها العقول وتدخل تحت دائرة النقول، ومنها ما لا تفهمها العقول ولا تحيط بها النقول، بل تُسلم لأربابها، من غير أن يقتدى بهم في أمرها، ومنها ما تفيض عليهم في جانب علم الغيوب؛ كمواقع القدر وحدوث الكائنات المستقبلة، ومنها ما تفيض عليهم في علوم الشرائع وأسرار الأحكام، ومنها في أسرار الحروف وخواص الأشياء، إلى غير ذلك من علوم الله تعالى. انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢، ص١٢٣١، مرجع سابق، بتصرف ـ والبحر المديد، المؤلف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، ج٤، ص ٢٥٦، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م ـ طبعة: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) الخضر (رضي الله عنه): قيل كان مَلَكاً من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجاء في التواريخ أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته أبو العباس, قيل كان من بني إسرائيل، وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له, سُمي به لأنه جلس على فروة بيضاء فاخضرت، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (إنما سمي خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء), الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضراً لأنه كان إذا صلّى اخضر ما حوله ولم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم. انظر/تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن،ج٤، ص٢٢٣، طبعة دار النشر: دار الفكر – بيروت ـ لبنان – سنة ١٣٩٩ هـ ،١٩٧٩م، بدون رقم طبعة.

لبسط سلطانه على الأرض، وموسى- عليه السلام- خرج في طلب العلم " .[1]

ويمكن لنا التعرف بعمق، والغوص في مكنون خبايا هذه القصة عبر الحوار المطول بين سيدنا موسى عليه السلام، والعبد الصالح سيدنا الخضر، واستخلاص أهم الآداب الحوارية الهادفة إلى تصحيح الفكر والنظر ودورها في الجدال الفكري، وبيان أثر هذه الآداب الحوارية في الدعوة إلى الله تعالى.

أولاً: آداب الحوار من خلال (قصة سيدنا موسى عليه السلام والخضر)

من حوارات سورة الكهف الحوار الذي دار بين نبي الله موسى عليه السلام والعبد الصالح (الخضر) ويمكننا التعرف على أهم الآداب والضوابط، والأصول في هذا الحوار من خلال الآيات القرآنية فيما يلي :

١ـ ضرورة التعارف المُسبق بين طرفي الحوار قبل انعقاده، و قراءة فكر وشخصية المُحَاوَر

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ **(الكهف: ٦٥ ــ ٦٦)**

إن من الآداب المهمة لطرفي الحوار التعارف قبل الحوار، والمحاور المسلم مطالب شرعاً بهذا الأدب في الحوار وفي غير الحوار، حيث حث الإسلام اتباعه على ضرورة التعارف لما له من فوائد عديدة، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ (الحجرات: ١٣)

أما عن وجود هذا الأدب في السورة الكريمة فنجده حيث اللقاء المنتظر بين سيدنا موسى عليه السلام، والعبد الصالح (الخضر)، وحيث العَلامة المُحددة من رب العالمين، حيث انطلاق الحوت في البحر وعودة الحياة إليه بعد أن كان طعامًا، وتحديدًا عند مجمع البحرين في هذا المكان دار الحوار بين موسى والخضر فكان أول شيء هو التعارف المسبق بينهما .

قال الإمام البغوي : " حتى انتهيا ـ يقصد موسى عليه السلام وفتاه ـ إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى، فقال الخضر عليه السلام وأنّى بأرضك السلام، فقال له: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا، قال: إنك لن

(١) التحرير والتنوير ،ج١٥، ص ٢٤٥، مرجع سابق.

تستطيع معي صبرا ، يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم علمكه الله لا أعلمه، فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا، فقال له الخضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا، فانطلقا يمشيان" (١)

وبجانب هذا التعارف بين سيدنا موسى عليه السلام والخضر، فقد عَرَّف الله تعالى بالعبد الصالح بقوله:(عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ) العبودية، وبقوله (ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً) الرحمة،(وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا) العلم اللدُنِّي، أو علم الخفايا فهو عالم، وهذه الرحمة والعلم اللدني اللذان ذكر الله من امتنانه عليه بهما(٢).

وعلى هذا يمكن القول بأن أثر هذا الأدب في الجدال الفكري يتمثل في: أن المحادثات الأولى والتعارف الأول على الطرف المحاور يساعد على سهولة البدء في المناظرة، أو الجدال الفكري البنَّاء، وسيرها فيما بعد بالشكل المناسب؛ بأن تكون هناك قراءة مُسبقة لأفكار ومبادئ وعقيدة ونفسيات الطرف المُحَاوَر جيداً قبل البدء في الحوار؛ إذ من الصعب أن يبتدأ مباشرة بالحوار مع أشخاص لم يتم أي تعارف معهم ولو كان يسيراً؛ لأن في جلسة التعارف هذه فائدة في التعرف على طبيعة الطرف الآخر، ولو بشكل مبدئي من خلال مظهره، وحديثه، ونبرات صوته، وحصيلته العلمية؛ مما يكون له الأثر في معرفة الظروف النفسية، والميول الذهنية للشخص المحاور.

والتعارف بمفرده لا يكفي بل ينبغي من التكامل بينه وبين باقي الآداب الموجودة في القصة المباركة؛ لذا كان من الضروري الإشارة إلى الأدب التالي :

٢- الملاطفة المتبادلة، وحسن الأدب والذوق، أو (التقدير المتبادل بين طرفي الحوار)

ومن الآداب الحوارية المؤثرة (الملاطفة وحسن الأدب) المتبادل بين أطراف الحوار، وإن علت رُتبة أحدهما على الآخر.

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، للإمام محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج٣، ص٢٠٢، ط١، سنة١٤٢٠هـ، طبعة: دار إحياء التراث العربي –بيروت.

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ج٣، ص٣٢٢، بتصرف، ط: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م ، بدون رقم طبعة.

يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦﴾ "هذا سؤال الملاطف، والمخاطب المستنزل المُبَالِغ في حسن الأدب، والمعنى: هل يتفق لك ويخف عليك؟ وهذا كما في الحديث: **(هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ؟...)**[1] وعلى بعض التأويلات يجيء كذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ ..﴾ **(المائدة: ١١٤)** حسب ما تقدم بيانه في "المائدة".

وفي هذه الآية دليل أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوت المراتب، ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر يدل على أن الخضر كان أفضل منه، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول، والفضل لمن فضله الله ؛ فالخضر إن كان وليا فموسى أفضل منه ، لأنه نبي والنبي أفضل من الولي ، وإن كان نبيًا فموسى فضله بالرسالة. والله أعلم." [2]

وإن كان من تعليق على سؤال سيدنا موسى عليه السلام في قوله: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾ فإن سيدنا موسى – عليه السلام – سأل الخضر سؤال التلطف المستأذن في الاتِّباع، فلم يرد أن يظهر بمظهر المقحم لنفسه المتهجم بها، وهذا بلا ريب تعليم لآداب الصحبة أنها تكون اتفاق النفوس، وتلاقي القلوب، والاستفهام لبيان إرادة الاتباع في أبلغ أدب[3].

ففي هذا الأدب تقدير عالي من سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ للخضر، فضلا عن أنه تمهيد أتى في صورة سؤال، تمهيد جعل سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ يطلب من الخضر أن يستكشف ما لديه من علم وخبرات، وحقائق وإيجابيات؛ فيظهر لنا الأدب الثالث من آداب الحوار في هذه القصة والرحلة العلمية لسيدنا موسى، والذي أتى بهذا العنوان:

٣ـ استكشاف ما لدى الطرف الآخر من حقائق وإيجابيات وقبولها والاستفادة منها

قال تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ (الكهف : ٦٦) ، سؤال بتلطف لا على وجه الإلزام والإجبار، وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم كأن موسى ـ عليه السلام ـ يُعلِّمنا

(١) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الطهارة، باب حد الغسل، ج١، ص٧١، حديث رقم (٩٧)، والحديث صحيح.

(٢) تفسير القرطبي (الجامع أحكام القرآن) ،ج ١١، ص١٧، مرجع سابق.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، ج٣، ص٤٥٥٩، بتصرف، يسير، طبعة دار النشر: دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

أدب تلقّي العلم وأدب التلميذ مع معلمه، فمع أن الله تعالى أمره أن يتبع الخضر، فلم يقُل له مثلاً : إن الله أمرني أن أتبعك، بل تلطّف معه واستسمحه بهذا الأسلوب: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾ ، والرشد : هو حُسْن التصرّف في الأشياء، وسداد المسلك في علة ما أنت بصدده [١].

وأما الرشد الذي طلبه موسى عليه السلام فهو الرشد في مذهب العبد الصالح، وقد دلّ هذا على أنه طلب شيئاً لم يكن معلوماً له، وهذا لا يقدح في مكانة النبوة؛ لأن الحق سبحانه وتعالى قال :﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(الإسراء : ٨٥)، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ (طه : ١١٤)

إذن : فعلم موسى غير علم الخضر؛ لذلك قال له :﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ ﴾ (الكهف : ٦٧-٦٨)؛ فهذا عِلْم ليس عندك، فعِلْمي من كيس الولاية ، وعلمك من كيس الرسل، وهما في الحقيقة لا يتعارضان، وإنْ كان لعلم الولاية عِلَل باطنة، ولعلم الرسالة عِلَل ظاهرة .

فإن قلت ظاهر الآيات يدل على أن الخضر كان أعلى شأناً من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب معه.

قلت لا يخلو إما أن يكون الخضر من بني إسرائيل أو من غيرهم فإن كان من بني إسرائيل فهو من أمة موسى, ولا جائز أن يكون أحد الأمة أفضل من نبيها أو أعلى شأناً منه, وإن كان من غير بني إسرائيل فقد قال الله تعالى لبني إسرائيل: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ ﴾ (البقرة من الأية ٤٧). " أي على عالمي زمانكم " قال له موسى هل أتبعك (معناه جئت لأصحبك وأتبعك) على أن تعلمن مما علمت رشداً أي صواباً وقيل علماً ترشدني به. [٢].

والمتأمل في هذه العبارة من الخضر يُشُمُ منها عَرْف الطمأنة ، وتهيئة سيدنا موسى عليه السلام لمَ هو آت من علم لدني، وإن شئت فقل علم الخفايا؛ لذا كان الأدب الرابع يحمل نفس المعاني المُتبادرة إلى الذهن من تلك العبارة التي قالها العبد الصالح عن وصف ما عنده من علم

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير،ج٥، ص١٨١، بتصرف مرجع سابق.

(٢) راجع: تفسير الخازن،ج٤، ص٢٢٣، مرجع سابق، بتصرف .

فكانت التهيئة النفسية للطرف المُحاوَر (مقصد ومطلب) فكان من أدب الحوار في سورة الكهف هذا الأدب التالي:

٤. تهيئة الطرف المُحاور وطمأنته نفسياً ، وتَجَنب التحدي والإفحام مع التماس الأعذار

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾ **(الكهف: ٦٧ – ٦٦).**

يقوم الحوار في الإسلام في الأساس على مبدأ الشفافية، والصدق ، واخلاص النية بُغية الوصول للحق، ولا يعرف التحايل، أو التلون والتملق والمداهنة، أو التعصب ؛ لذا كان من بين الرسائل التي يُرسلها المُحاور المسلم لمنْ يحاوره وحثَّ عليها الإسلام (الطمأنة النفسية)، .. لتحسن محاورته والتعامل معه، ولتعطيه الخطاب أو الأسلوب الذي يستحقه .. والذي يُجدي معه .. وليتعرف المُحَاوِر ما يحتاجه من الحجج والبراهين مما لا يحتاجه؛ إذ أن جهل المحاور بنظيره .. يقلل من قيمة وجودة وفعالية الحوار.. وربما سار الحوار في اتجاه لا يعني الطرف المقابل المحاور شيئاً .. وما أكثر ما يحصل ذلك، وتظهر كل هذه المعاني في قول الخضر لموسى:﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ " أي : قالَ له الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾، وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أمورًا منكرة، ولا يجوز للأنبياء أن يصبروا على المنكرات، ثم بيّن عذره في ترك الصبر بقوله : ﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾ أي: لم تحط به علماً "[(١)]، وكأن الخضر أراد أن يُهيئ سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ نفسيًا لنوع العلم الجديد، وبجانب هذه التهيئة التمس له العذر.

والمعنى الظاهري للآيتين، والذي يتبادر إليه ذهن القارئ لأول مرة غير مقصود (فلا يَقصد سيدنا الخضر التحدي أو الإفحام لسيدنا موسى عليهما السلام)، وإنما هو من قَبيل (التهيئة والطَّمَأنة النفسية، والتماس الأعذار) فالمقام مقام حوار بالحسنى، ومقام تعليم، وإنما يُلجأ لمثل هذا الأسلوب (التحدي والإفحام) مع المتنطعين الذين همهم الجدل العقيم والاستهزاء وإثارة الشُّبَه وتضليل الناس؛ فمثل هؤلاء لا ينفع معهم اللين والرفق، وإنما الذي ينبغي في حقهم إفحامهم ومناظرتهم على الملأ ، وعلى الرغم من ذلك ذكرت لنا هذه القصة أدبًا أخر للحوار يُغاير سابقه؛ ليؤكد للدعاة إلى الله والمَعْنين بفن الحوار والمتخصصين في ذلك إلى:

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، ج٣، ص٢٠٦. مرجع سابق.

٥ـ ضرورة الاتفاق على وضع أسس واضحة للحوار وسد الطريق أمام المواجهات والمصادمات

يدلنا إلى هذا الأدب قوله تعالى على لسان الخضر: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ **(الكهف: ٧٠)**، وقوله تعالى على لسان موسى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾ **(الكهف: ٧٦)**، بالنظر في الآية الأولى نجد أن (الخضر) وضع شرطًا وجعل منه أساسًا لدوام الصحبة، ومتابعة الحوار بينه وبين سيدنا موسى عليه السلام ، يقول الإمام البغوي في تفسيره: " قالَ، الخضر، فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي، فإن صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار إليه، إلا أنه شرط عليه شرطًا فقال، فَلا تَسْئَلْنِي.. عَنْ شَيْءٍ أعلمه فيما تنكره ولا تعترض عليه، حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً، حتى ابتدأ لك بذكره فأبيّن لك شأنه" (١).

وفي الآية الثانية وضع (موسى عليه السلام) شرطًا وجعل منه أساسًا لانتهاء الصحبة، وشرطًا لانقضاء الحوار بينه وبين العبد الصالح الخضر، في حالة عدم الالتزام به(٢)، قال أُبيّ بن كعب(٣) قال النبي صلى الله عليه وسلم: « **كَانَتِ الأُولَى نِسْيَانًا، وَالوُسْطَى شَرْطًا**(٤)، **وَالثَّالِثَةُ**

(١) المرجع السابق، ج٣، ص٢٠٦.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب من القرآن الكريم.=تفسير الفخر الرازي ، للإمام:: محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي ،ج١، ص٢٩٣٨، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

(٣) أُبَيّ بن كعب: هو أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار،سيد القراء، أبو منذر الانصاري النجاري المدني المقرئ البدري ويكنى أيضا أبا الطفيل شهد العقبة، وبدرا، وجمع القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وعرض على النبي، عليه السلام، وحفظ عنه علما مباركا، وكان رأسا في العلم والعمل، رضي الله عنه. تُوفي: ٣٢ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ ١٣٧٤ م تحقيق: شعيب الارنؤوط،ج١، ص٣٩٠، ط٩، سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م،طبعة: مؤسسة الرسالة بيروت، وأسد الغابة، لابن الأثير،ج١، ص٣٠، بدون بيانات .

(٤) (الأولى) اعتراضه على خرق السفينة (نسيانًا) للشرط عليه أن لا يسأله عن شيء حتى يخبره عنه. (الوسطى) اعتراضه على قتل الصبي(شرطًا) سببًا للشرط الذي شرطه على نفسه وهو قوله {إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني}.الكهف ٧٦، وكان ذلك من موسى عليه السلام شرطًا بالقول لم يقع عليه إشهاد ولا كتابة وهذه مناسبة إيراد الحديث في الباب. (الثالثة) اعتراضه على بناء الجدار دون أخذ أجرة عليه. (عمدا) قصدا. (ترهقني) تحملني ما فيه مشقة علي. (عسرا) صعوبة شديدة . انظر: صحيح البخاري،ج٣، ص١٩٢.

عَمْدًا»[1]، هذا بجانب الاتفاق على منهج الاستدلال والتلقي قبل البدء في نقاش أي مسألة علمية، يدخل أيضًا ضمنيًا في معنى هذا الأدب، ولابد من مراعاته قبل بدء الحوار حتى يسلم الطرفان من المقاطعة أثناء الحوار حتى ينتهي كل منهما من عرض فكرته وكلامه، يأتي الأدب السادس التالي ليؤكد هذا المعنى.

٦ـ البعد عن المقاطعة والمناقشة أثناء عرض أحد طرفي الحوار كلامه حتى ينتهي منه

قال سيدنا ـ موسى عليه السلام ـ معترضًا على أفعال العبد الصالح الثلاثة ما نصه : (فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾) **(الكهف: ٧١)**، وكذلك في موقف الغلام : (قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا) **(الكهف: ٧٤)**، وفي موقف الجدار: (قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) **(الكهف: ٧٧)**، ونشير من خلال هذه الردود الثلاثة إلى أننا ينبغي علينا أن نعلم أن حُسن الاستماع والاهتمام بكلام الطرف الآخر يؤدي حتمًا إلى عدم مقاطعته، وعدم مناقشته حتى ينتهي من عرض فكرته أو كلامه، بل ويساعد على التفكير بعمق في الرد عليه بأدلة دامغة وحُجج قوية، فمن آداب المحاور المسلم أن لا يُقدم على تصحيح فكرة ما أو تخطئتها قبل التأكد من انتهاء المُحَاوَر من كلامه، وعدم المصادرة عليه .

ورُوي في تفسير هذه الآية أن الله جعل هذه الأمثلة التي وقعت لموسى مع الخضر حجة على موسى وعجبًا له وذلك أنه لما أنكر أمر خرق السفينة نودي يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحًا في اليم ؟!، فلما أنكر أمر الغلام قيل له أين إنكارك هذا من وَكزك للقبطي وقضائك عليه؟! فلما أنكر إقامة الجدار نُودي أين هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب دون أجر ؟![2].

وليس هذا ـ حاشا لله ـ أن يكون من باب تخطئة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ؛ فمقام النبوة أعلى، وأعظم، فهو معصوم عليه السلام من مثل هذا لكنها نوعية العلم عند الخضر، والحدث، والموقف، وسيدنا موسى بشر، وبشريته مع نبوته جعلته يُنكر على الخضر ما فعله في المواقف الثلاثة؛ لأن للبشر الظاهر والله يتولى السرائر، الأمر الذي يُعلمنا ضرورة الصبر على الشخص أو

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط ، باب الشروط مع الناس بالقول، ج٣، ص١٩٢، حديث رقم(٢٧٢٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية الأندلسي، ج٣، ص٥٦٢. مرجع سابق.

الطرف المُحَاوَر حتى ينتهي من كلامه، وهذا ما ينبغي علينا أن نتعلمه، من أحداث هذه القصة، كما ينبغي علينا أن نتعلم أن المتحدث البارع مستمع بارع؛ فلابد من حسن الاستماع، وتدوين أي فكرة تطرأ أثناء كلام المُحَاوَر، وهذا من التواضع، وإعطاء الأهمية لكلام الآخرين، فضلاً عن المحافظة على الهدف من الحوار والوصول إلى النتيجة المرغوبة منه؛ فيأتي الأدب السابع مبينًا لتلك المعاني القيمية التي نحن أحوج ما نكون إليها، ويمكن لنا أن نُلقي بالضوء عليها من خلال الضابط التالي من ضوابط وقواعد الحوار في القصة المباركة.

٧- المحافظة على هدف الحوار من أجل الوصول إلى نتيجة

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝٧٣﴾ **(الكهف: ٧١ – ٧٣)** تحديد هدف الحوار قبل الدخول فيه أمر مهم ، والمحافظة على الهدف أثناء الحوار أيضاً أمر مهم؛ لأن ذلك يحافظ على التركيز، وعدم الخروج عن موضوع الحوار بمناقشة جزئيات أو أمور جانبية بعيدة عن موضوع الحوار؛ مما يكون له الأثر في ضياع الوقت ، وعدم الوصول إلى نتيجة في آخر الأمر.

(قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) اعتذر موسى بالنسيان وكان قد نسي التزامه بما غشي ذهنه من مشاهدة ما ينكره، والنهي مستعمل في التعطف والتماس عدم المؤاخذة، لأنه قد يؤاخذه على النسيان مؤاخذة من لا يصلح للمصاحبة لما ينشأ عن النسيان من خطر، فالحزامة الاحتراز من صحبة من يطرأ عليه النسيان، ولذلك بُني كلام موسى على طلب عدم المؤاخذة بالنسيان، ولم يُبْن على الاعتذار بالنسيان، كأنه رأى نفسه محقوقا بالمؤاخذة، فكان كلامًا بديع النسيج في الاعتذار.[(١)]، وقيل أيضاً: فتنبه موسى لما أتى معه فاعتذر بالنسيان وذلك أنه نسي العهد الذي كان بينهم هذا قول الجمهور[(٢)].

ويدخل **في المحافظة على الهدف من الحوار" تجنب اللوم المباشر عند وضوح خطأ الطرف الآخر"**؛ فقول موسى ـ عليه السلام ـ : لو شئت لاتخذت عليه أجرا لوم، أي كان في مكنتك أن تجعل لنفسك أجرا على إقامة الجدار تأخذه ممن يملكه من أهل القرية، ولا تقيمه مجانًا؛ لأنهم لم يقوموا بحق الضيافة ونحن بحاجة إلى ما ننفقه على أنفسنا، وفيه إشارة إلى أن نفقة الأتباع على المتبوع.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ج١٥، ص٣٧٦. مرجع سابق.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ج٣، ص٥٥٩، مرجع سابق.

وهذا اللوم يتضمن سؤالًا عن سبب ترك المشارطة على إقامة الجدار عند الحاجة إلى الأجر، وليس هو لومًا على مجرد إقامته مجانًا؛ لأن ذلك من فعل الخير وهو غير ملوم.(١)

كما يدخل في المحافظة على الهدف من الحوار" العدل والإنصاف والرُقي في الحوار: بأن يعترف كل من الطرفين في حالة السهو أو النسيان، أو بالخطأ إن أخطأ، وأن يقر لمخالفه بالإصابة إن أصاب.

قال الإمام الشوكاني في تفسير قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام:(قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ) "وهذا كلام نادم شديد الندامة اضطره الحال إلى الاعتراف وسلوك سبيل الإنصاف." (٢)

ومن خلال ما سبق يمكن القول: بأنه يجب أن يكون همُّ وغاية كل طرف من أطراف الحوار إنصاف الحق، ومعرفته ، واتباعه، والانتصار له ، ولن يَتحقق ذلك إلا من خلال الاتفاق ، ثم المتابعة، والمراقبة لهذا الأمر، أثناء الحوار وحتى نهايته، وفي حالة انعدام ذلك يكون من الواجب على طرفي الحوار أن يختار كل منهما أو أحدهما الوقت المناسب لغلق باب الحوار، توفيرًا للوقت والمجهود، والسعي نحو السلامة من الخوض في معارك كلامية لا طائل من ورائها؛ لذا كان الأدب والأصل الثامن من آداب وأصول الحوار معنا في هذه القصص يحمل هذه المعاني يمكننا التعرف عليها من خلاله فيما يلي:

٨ ـ اختيار الوقت المناسب لغلق باب المناقشة الحوارية

(فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ)(**الكهف:**٧٧ – ٧٨)

ومن حصافة المحاور الجيد عندما تتسع شُقة الحوار، أو يتضح أثناء النقاش أن هناك أموراً أساسية برزت لم يتم التحضير لها، أو لا يكفي الوقت لمناقشتها ، فيحسن في مثل هذه الأحوال إقفال النقاش وتأجيله إلى وقت آخر يتم التحضير والاستعداد الجيد له ، كما ينبغي قفل النقاش

(١) انظر: التحرير والتنوير، ج١٦، ص٩. مرجع سابق.

(٢) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام محمد بن علي الشوكاني الصنعاني ت: (١٢٠٥هـ)، ج٣، ص٣٠٣، طبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بدون تاريخ.

عندما يتبين أن الطرف الآخر في الحوار غير جاد، أو كان دون المستوى المطلوب للخوض في القضايا المعدة للحوار.

هذا على مستوى الأفراد العاديين، أما على مستوى الانبياء، والصالحين؛ فتُطالعنا القصة بقول موسى عليه السلام بعد أن اشترط عليه الخضر الشرط المعروف بعد قتله للغلام ، فيقول للخضر بعد انتهائه من بناء الجدار للغلامين: (قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا)، فيرد عليه الخضر بقوله: (هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ)، وهذه العبارة(١) من موسى ـ عليه السلام ـ :

" تُعد دُستوراً من الحق ـ سبحانه وتعالى ـ ودليلاً على أن هذين المذهبين لا يلتقيان ، فيظل كل منهما له طريقه .. ، ولا ينبغي أن يعترض أحدهما على الآخر ، بل يلزم أدبه في حدود ما علَّمه الله.

ثم يقول تعالى على لسان الخضر : (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) (الكهف : ٧٨) أي : لن أتركك وفي نفسك هذه التساؤلات، حتى لا يكون في نفسك مني شيء ، سوف أخبرك بحقيقة هذه الأفعال التي اعترضْتَ عليها؛ لتعلم أن الله أرسلك إلى مَنْ يُعلّمك شيئاً لم تكُنْ تعلمه .

ثم أخذ العبد الصالح يكشف لموسى الحكمة من هذه الأفعال واحداً تِلْو الآخر، كما لو عتبَ عليك صاحبك في أمر ما، وأنت حريص على مودَّته فتقول له : أمهلني حتى أوضح لك ما حدث ، لقد فعلتُ كذا من أجل كذا ، لتُريح قلبه وتُزيل ما التبس عليه من هذا الأمر .

وقالوا: إن هذا من أدب الصُحْبة ، فلا يجوز بعد المصاحبة أنْ نفترقَ على الخلاف، ينبغي أن نفترق على وِفَاق ورضا؛ لأن الافتراق على الخلاف يُنمّي الفجوة ويدعو للقطيعة ، إذن : فقبل أنْ نفترق : لابد وأن تتضح الأمور وتصفو النفوس، وأن المناقشة والمحاورة متى كان الغرض منها الوصول إلى الحق ، وإلى المزيد من العلم ، وكانت بأسلوب مهذب ، وبنية طيبة، لا تؤثر في دوام المحبة والصداقة ، بل تزيدهما قوة وشدة. " (٢) ويتضح لنا من خلال ما سبق أدب أخر من آداب

---

(١) والضمير في (هذه) يعود على العبارة الواردة في قول الله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام وهي قوله (قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) (الكهف: ٧٨).

(٢) راجع: تفسير الوسيط، ج٨، ص ٥٦٧ مرجع سابق، وتفسير الشعراوي،ج١، ص٥٤٥٦، ط: دار أخبار اليوم، مصر، بدون تاريخ.

الحوار وهو حرص طرفي أو أطراف الحوار على بيان واستجلاء الحقائق حول الأفكار المطروحة حول القضية محل الحوار .

٩- الحرص على استجلاء الحقائق

قال تعالى: (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ... إلى قوله تعالى: (وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) **(الكهف: ٧٨ – ٨٢)**

والسين في قوله " سأنبئك " مفرقة بين المحاورتين والصحبتين ومؤذنة بأن الأولى قد انقطعت ثم أخبره في مجلسه ذلك وفي مقامه " بتأويل " تلك القصص والتأويل هنا للمآل .(١)

ويقصد باستجلاء الحقائق: أن يتم تعريف الطرف الآخر بما يغيب عنه أو يلتبس عليه من المعلومات ووجهات النظر والبراهين في القضايا التي هي موضوع الحوار.

والحوار الهادف الناجح هو الذي يجمع بين طياته ما يؤدي إلى إيضاح الحقيقة؛ فيُعطي كل فرد ما يعرف من أجزاء الحقيقة حتى يمكن تركيبها كاملة، فيظهر لصاحب الحق أجزاء من الحق بصورة أوضح أثناء توقده الذهني في لحظات الحوار .

يقول الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآيات ما يدل على ذلك: " اعلم أن هذه المسائل الثلاثة مشتركة في شيء واحد وهو أن أحكام الأنبياء صلوات الله عليهم مبنية على الظواهر كما قال عليه السلام : (نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) (٢) وهذا العَالِم ما كانت أحكامه مبنية على ظواهر الأمور ؛ بل كانت مبنية على الأسباب الحقيقية الواقعة في نفس الأمر، وذلك لأن الظاهر

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية الأندلسي،ج٣، ص٥٦٤ مرجع سابق.

(٢) قال العراقي: لم أجد له أصلاً وكذا قال المزي لما سئل عنه، وقال ابن السبكي: لم أجد له إسناداً، وقال السخاوي: "لا وجود له في كتب الحديث المشهورة، ولا الأجزاء المنثورة . انظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، المؤلفون: العِراقي (٧٢٥ – ٨٠٦ هـ)، ابن السبكى (٧٢٧ – ٧٧١ هـ)، الزبيدي (١١٤٥ – ١٢٠٥ هـ)استِخرَاج: أبي عبد الله مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد (١٣٧٤ هـ –؟)،ج٨، ص٤٥٥، حديث رقم (٣٩٥٥)، طبعة: دار العاصمة للنشر – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.، " وقال ابن الملقن: هَذَا الحَدِيث غَرِيب لَا أعلم من خرجه من أَصْحَاب الْكتب الْمُعْتَمدَة وَلَا غَيرهَا، وَسُئِلَ عَنهُ حَافظ زَمَاننَا جمال الدَّين الْمزي فَقَالَ : لَا أعرفهُ " راجع: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، المؤلف : ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى : ٨٠٤هـ)، تحقيق : مصطفى أبو الغيط وعبدالله بن سليمان وياسر بن كمال،ج١، ص١١٤، الطبعة : الاولى ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، طبعة : دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض- السعودية.

أنه يحرم التصرف في أموال الناس وفي أرواحهم في المسألة الأولى ، وفي الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف لأن تخريق السفينة تنقيص لملك الإنسان من غير سبب ظاهر، وقتل الغلام تفويت لنفس معصومة من غير سبب ظاهر ، والإقدام على إقامة ذلك الجدار المائل في المسألة الثالثة تحمل التعب والمشقة من غير سبب ظاهر، وفي هذه المسائل الثلاثة ليس حكم ذلك العالم فيها مبنياً عن الأسباب الظاهرة المعلومة ، بل كان ذلك الحكم مبنياً على أسباب معتبرة في نفس الأمر ، وهذا يدل على أن ذلك العالم كان قد آتاه الله قوة عقلية قدر بها أن يشرف على بواطن الأمور ويطلع بها على حقائق الأشياء فكانت مرتبة موسى عليه السلام في معرفة الشرائع والأحكام بناء الأمر على الظواهر وهذا العالم كانت مرتبته الوقوف على بواطن الأشياء وحقائق الأمور والاطلاع على أسرارها الكامنة ، فبهذا الطريق ظهر أن مرتبته في العلم كانت فوق مرتبة موسى عليه السلام. إذا عرفت هذا فنقول : المسائل الثلاثة مبنية على حرف واحد وهو أن عند تعارض الضررين يجب تحمل الأدنى لدفع الأعلى؛ فهذا هو الأصل المعتبر في المسائل الثلاثة."[١].

ثم يسير العبد الصالح في بيان الحقائق، والحِكَمِ من قيامه بهذه الأفعال الثلاثة، ثم يُوَثِّق لسيدنا موسى عليه السلام أن ما فعله مصدره الأمر من الله ، وإرادته لذلك، مع إحكامه في هذا البيان، وإحسان عرضه وهذا ما يشير إليه الإمام الفخر الرازي في تفسيره بقوله:

ذلك العَالِم عَلما أنه لو لم يعب تلك السفينة بالتخريق لغصبها ذلك الملك، وفاتت منافعها عن ملاكها بالكلية ...، وأما المسألة الثانية : فكذلك لأن بقاء ذلك الغلام حياً كان مفسدة للوالدين في دينهم وفي دنياهم ..، والمسألة الثالثة : أيضاً كذلك لأن المشقة الحاصلة بسبب الإقدام على إقامة ذلك الجدار ضررها أقل من سقوطه لأنه لو سقط لضاع مال تلك الأيتام. وفيه ضرر شديد . [٢] ، وينبغي علينا أن نعلم أن استجلاء الحقائق يحتاج إلى توثيق ورَدِّ هذا الاستجلاء إلى مصدره الأول فكان الأدب والأصل التالي:

١٠ـ التوثيق وإحكام البيان وحسن العرض: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ **(الكهف: ٨٢)** يعني ما فعلت ما رأيت من هذه الأحوال عن أمري واجتهادي

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي،ج١، ص٢٩٣٨، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٢٩٣٨، ٢٩٣٩.

ورأيي وإنما فعلته بأمر الله ووحيه لأن الإقدام على تنقيص أموال الناس وإراقة دمائهم لا يجوز إلا بالوحي والنص القاطع (١).

ينبغي أن تكون مسائل الحوار موثقة من الناحية العلمية والإسنادية، فلا يستدل بشيء إلا مسنداً لقائله ، ومصدره الذي أخذه منه ، وأن يستعين المحاور بذكر الإحصاءات التي تخدم الفكرة ، والمراجع التي رجع إليها ؛ لأن ذكر الحقائق مدعمة بذكر المصادر والإحصائيات الموثقة، أعمق أثراً في النفوس من ذكرها مجردة ، كما ينبغي في مثل هذه الحالات الإعراض عن النقول الضعيفة، والحجج الواهية (٢).

وبهذا الأدب الأخير والمتمثل في التوثيق وإحكام البيان وحُسن العرض، تكون هذه القصة قد انتهت بعد أن وضعت أيدينا على مجموعة من قواعد وأصول أدب الحوار، ويمكن بيان أثر هذه الآداب المنبثقة عن هذه القواعد والأصول في الدعوة إلى الله من خلال العنصر التالي:

ثانياً : أثر هذه الآداب الحوارية في الدعوة إلى الله تعالى من خلال قصة (موسى والخضر)

من الآثار الدعوية في هذه القصة القرآنية ما يلي:

١. بيان أن العلم البشري محدود وأن الناس لا غنى لهم عن (العلماء والدعاة) فهم ورثة الانبياء، ومهما حدث من تقدم في وسائل التعليم في العصر الحاضر يبقى للمعلم ، والداعية مكانته وأهميته، فليعي الدعاة هذه المسئولية ويقوموا بواجباتها.

٢. التعارف مبدأ وأدب إسلامي له أثره في عملية الحوار، وله أثره كذلك في الدعوة إلى الله؛ وأولى الناس بهذا الأدب هم الدعاة إلى الله تعالى في العصر الحاضر، وخاصة مع الأشخاص في محيط عملهم الدعوي، للتعرف على طبيعة المدعوين فالتعارف مهم جدًا في عملية الدعوة، والتعارف بمفرده لا يكفي بل ينبغي من التكامل بينه وبين باقي الآداب الأخرى المتعلقة بتبليغ الدعوة بالصورة اللائقة بها، ومن أجل أن تكون على بصيرة عملاً بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (يوسف: ١٠٨)

٣. المثابرة وقوة الإرادة من أجل الوصول إلى الغاية المنشودة مهما كانت المشاق، والصعوبات ، ويظهر هذا الأثر ، في إصرار موسى عليه السلام للوصول للعبد الصالح ، من أجل العلم، وهذا

(١) انظر: المرجع نفسه،ج١، ص ٢٩٤١، بتصرف.

(٢) انظر: ضوابط المعرفة والاستدلال، عبدالرحمن حبنكة، ص٣٦٥، ٣٧٢، ٣٧٣بتصرف. مرجع سابق.

ما ينبغي أن يتحلى به الدعاة وطلاب العلم في الواقع المعاصر (المثابرة في طلب العلم، والدعوة إلى الله).

٤. من الأثار المترتبة على مراعاة هذه الآداب، ولها عَلاقة وثيقة بالدعوة إلى الله تعالى التناصح، وقضاء الحوائج، والوفاء بالعهود؛ فكثير من الحوارات تُعقد بين الكثير من الناس بهدف قضاء حاجة، أو وفاء بعهد، وإن خلت من هذين الأمرين فلن تخلو بحال من الأحوال من الأمر الثالث وهو التناصح بهدف تصحيح معتقد أو تقويم معوج، أو غرس فضيلة من الفضائل، أو نهي عن رذيلة من الرذائل، أو فعل واتباع حق، أو خير، واجتناب باطل أو شر، وهذا كله يتوافق وهدف الدعوة إلى الله تعالى.

المَبْحَثُ الثَّانِي

آدابُ الحُوارِ ودَوْرُهَا فِي الاصلاح الاجتماعي وَالاقتصادي من خلال سورة الكهف

كما وضَّحَتْ لنا السورة المباركة (الكهف) دور أدب الحوار في الإصلاح والتي من بينها الإصلاح الاجتماعي، والإصلاح الاقتصادي، ولا شك أن المجتمعات في العصر الحاضر تنشد وتتطلع إلى صور الإصلاح في مجالاته المختلفة وعلى رأسها الاصلاح الاجتماعي، والاصلاح الاقتصادي ، وتسعى دائمًا نحوهما بخُطى حثيثة سريعة ومتتابعة؛ فتأتي سورة الكهف لتضع أيدينا على نموذجين غاية في الدقة والروعة والبلاغة، أولهما نموذج يوضح لنا لونًا من أغرب ألوان السلوك البشري الاجتماعي الممتلئ بالتعالي والكبر والغرور والأنا يتجسد في حوار (صاحب الجنتين مع صاحبه) ؛ وكيف استطاع الرجل المؤمن صادق الإيمان عبر الحوار الهادئ القائم على فكرة (الاقناع والاقتناع) أن يصل إلى إصلاح صاحبه، وبيان الحق والصواب له من أقصر الطرق؛ فهذا نموذج حي لحوار بَنَّاء يهدف إلى الاصلاح الاجتماعي لفئة تظهر في العديد من المجتمعات قديمًا وحديثًا من وقت لآخر فتظن أنها الأقوى بما لديها، وما تملكه، وبجانب هذا الأمر تظن أنها الأصلح والأتقى، والأقرب إلى الله، وفي الأخرة هي الأنجى . ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ ﴾ (الكهف: ١٠٤)

والاصلاح الاجتماعي والاقتصادي قرينان لا غنى للمجتمعات عنهما في أي عصر من العصور؛ فتأتي السورة الكريمة بنموذج وصورة أخرى جسدت فيها هذا التزاوج وتلك العلاقة من خلال حوارات رجل (طَوَّاف عُرِفَ بذي القرنين بينه وبين أقوام يعيشون بين مطلع الشمس ومغربها)، وكيف استطاع من خلال أحد حواراته مع أحد هذه الأقوام أن يستعملهم في بناء السد، وحَوَّلَهم من أمة خاملة إلى أمة عاملة ، إنه أدب الحوار والاصلاح الاقتصادي في أَجَلِّ صوره كل هذا وغيره من أمور متعلقة بالإصلاحين (الاجتماعي، والاقتصادي) عَبْرَ أدب الحوار في السورة الكريمة يظهر لنا جلًيا من خلال المطلبين التاليين في هذا المبحث.

المطلب الأول: آداب الحوار ودورها في الإصلاح الاجتماعي (صاحب الجنتين أنموذجًا).

المطلب الثاني: آداب الحوار ودورها في الاصلاح الاقتصادي (ذو القرنين أنموذجًا).

❁ ❁ ❁ ❁

المطلب الأول

آداب الحوار ودورها في الإصلاح الاجتماعي من خلال سورة الكهف (صاحب الجنتين أنموذجاً)

إن الحوار الراقي هو مظهر حضاري يعكس مدى صلاح وتطور المجتمع، ونضج فئاته الواعية؛ ومن مقوماته أنه يستند إلى أسس ثابته لإصلاح المجتمع، وضوابط مُحكمة ويقوم على منطلقات يمكن حصرها في الاحترام المتبادل، والإنصاف مع العدل، ونبذ التعصب والكراهية. (١)

وتُبين لنا سورة الكهف هذه المنطلقات، وتلك الأسس في قصة صاحب الجنتين (٢) ، ويمكن من خلال هذا المطلب إلقاء الضوء عليها والحديث عنها بشيء من التفصيل على النحو التالي:

أولاً: أهم آداب الحوار في قصة صاحب الجنتين

١. التأكيد على القيم الفاضلة والابتعاد عن القيم الزائلة غير الفاضلة

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾(الكهف: ٣٢ – ٣٦).

---

(١) قيل: هما أخوان من بني مخزوم الأول الأسود بن عبد الأسود بن عبد ياليل وكان كافرا، والثاني أبي سلمة عبد الله بن الأسود كان مؤمنا . وقيل : أخوان من بني إسرائيل فرطوس وهو الكافر وقيل : اسمه قطفير، وبهوذا وهو المؤمن في قول ابن عباس . وقال مقاتل : اسمه تمليخا وهو المذكور في الصافات في قوله (قال قائل منهم إنى كان لى قرين) وعن ابن عباس أنهما ابنا ملك من بني إسرائيل أنفق أحدهما ماله في سبيل الله وكفر الآخر واشتغل بزينة الدنيا وتنمية ماله . وعن مكي أنهما رجلان من بني إسرائيل اشتركا في مال كافر ستة آلاف فاقتسماها . وروي أنهما كانا حدادين كسبا مالا . وروي أنهما ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار ، فاشترى الكافر أرضا بألف وبني دارا بألف وتزوج امرأة بألف واشترى خدما ومتاعا بألف ، واشترى المؤمن أرضا في الجنة بألف فتصدق به ، وجعل ألفا صداقا للحور فتصدق به ، واشترى الولدان المخلدين بألف فتصدق به ، ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقة فمر في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصديق بماله،ولم يذكر المفسرون أين كانت الجنتان ، ولعلهما كانتا بالطائف فإن فيه جنات أهل مكة . انظر/ تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي،ج٦،ص١١٨، مرجع سابق، والتحرير والتنوير، ج١٥، ص٣١٦، مرجع سابق.

(٢) انظر: الإسلام والحداثة، مصطفى الشريف، ص٨٦ بتصرف يسير، ط١، سنة ١٩٩٩م، طبعة : دار الشروق القاهر.

تُبين لنا هذه الآيات قصة الرجلين والجنتين؛ فضرب الله مثلاً للفريقين للمشركين وللمؤمنين بمَثل رجلين كان حالُ أحدهما معجباً مؤنِقاً وحال الآخر بخلاف ذلك ؛ فكانت عاقبة صاحب الحال المونقة تَبَاباً وخسارة ، وكانت عاقبة الآخر نجاحاً؛ ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الإذراء، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسُنن الله في العالم من التذكير والتدبر في العواقب فيكون معرضاً للصلاح والنجاح .

وبهذا تضرب الآيات مثلاً للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله، وكلاهما نموذج إنساني واجتماعي موجود داخل المجتمع لطائفة من الناس : صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري وثراه لم يقتصر على أن كان له جنتان فيهما النخيل والأعناب والزرع الذي يُؤتي أُكُله، بل كان له فوق ذلك ثمر أي : موارد أخرى من ذهب وفضة وأولاد؛ لأن الولد ثمرة أبيه، وسوف يقول لأخيه بعد قليل: أنا أكثر منك مالاً وأعزُّ نفراً، تذهله الثروة، وتبطره النعمة ، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة، ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه، وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه، الذاكر لربه، يرى النعمة دليلاً على المنعم، موجبة لحمده وذكره، لا لجحود وكفره(١)

فَذَكرت لنا هذه القصة من بدايتها أخلاق وقيم كل واحد منهما، متمثلة في جحود الأول، ولا شك أن الجحود خُلق ذميم، وغير فاضل، وإيمان وشكر الثاني لله، وهذا الخُلق محمود، وفاضل، وهذا ما يجعلنا ندرك الأدب الأول من الآداب الحوارية والمتمثل في ضرورة التزام طرفي الحوار بالقيم الفاضلة، والاحترام المتبادل بينهما. .

وهذا أدعى للإصلاح الاجتماعي، حين تسود هذه الروح بين أفراد المجتمع الواحد، بداية من أفراد الأسرة الواحدة، الأزواج مع بعضهم حال التحاور في أمر من أمور الزوجية، وكذا الآباء والأمهات مع أبناءهم، ثم مع الطلاب ومعلميهم داخل المؤسسات التعليمية والتربوية، وسائر أفراد المجتمع الواحد حال التعاملات المختلفة في المستشفيات، والأسواق، والمحلات التجارية، ووسائل المواصلات المختلفة الكل مطالب بمثل هذا الأدب عند التحاور في القضايا والتعاملات الحياتية داخل المجتمع.

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير،ج١٥، ص ٣١٥، ٣١٦، بتصرف، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج١٠، ص٤٠١، ٤٠٢ مرجع سابق.

٢ـ أن يكون المتحاوران متقاربين ما أمكن في العلم والجاه

من أسس الحوار أن يجتنب المُحاور الجيد مناظرة ذي هيبة يخشى أو يستحي من مناظرته ؛ لأن ذلك يؤثر على قوة الحُجة والجُرأة على الإدلاء بها . (١)

قال تعالى : (فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) **(الكهف: ٣٤)**، أي: أكثر خدمًا وحشمًا وولدًا، قال قتادة: تلك –والله–أمنية الفاجر: كثرة المال وعزة النفر (٢)، وكان رد الصاحب المؤمن (إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا) **(الكهف٣٩ : ٤٠)** . ولعل الفارق الاجتماعي والمتمثل في غنى وثراء صاحب الجنتين، وفقر الأخر، كان أحد أهم الأسباب التي جعلت أحدهما يتكلم بهذه الطريقة أثناء الحوار الذى دار بينهما وذكرته سورة الكهف، إن الفوارق الاجتماعية، وخاصة المتعلقة بالفقر والغنى، لها أثرها ولم يسلم من هذه الآثار أحد عبر فترات الزمن المتفاوتة قديمًا وحديثًا، وأنه يجب علينا أن نُفَرِّق بين الفكرة المطروحة محل الحوار، وبين صاحبها من حيث الفكر أو الغنى، وهذا ما يفرض علينا أمر آخر متعلق بسبل تحقيق الاصلاح الاجتماعي من خلال التفاعل الايجابي نحو تطبيق آداب الحوار، ويتمثل هذا الأمر في **(ضرورة التفريق بين الفكرة وصاحبها)** أثناء الحوار من أجل الوصول إلى نتيجة مرضية للطرفين من جانب ولجميع أفراد المجتمع من جانب آخر.

٣ـ التفريق بين الفكرة وصاحبها

وذلك بأن يتم تناول الفكرة المطروحة بالبحث والتحليل والنقد أو التزكية، بعيداً عن صاحبها حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية تناقش فيها تصرفات الأشخاص ونواياهم، ولكن في بعض الأحوال ينبغي تناول أصحاب الأفكار أنفسهم بالجرح والتعديل، وذلك عندما نخشى ضلالاتهم أو تأثر الناس بأفكارهم، ولكن كل ذلك يتم بإخلاص وإنصاف.

---

(١) انظر: ضوابط المعرفة والاستدلال، عبدالرحمن حبنكة، ص ٣٧٣بتصرف. مرجع سابق.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير،ج٥، ص١٥٧، مرجع سابق.

(قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا) **(الكهف: ٣٧ – ٣٩)**

ثم قال المؤمن: (وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا) ذكر القفال فيه وجوهاً : **أحدها** : إني لا أرى الفقر والغنى إلا منه فأحمده إذا أعطى وأصبر إذا ابتلي ولا أتكبر عندما ينعم عَلَيّ ولا أرى كثرة المال والأعوان من نفسي وذلك لأن الكافر لما اعتز بكثرة المال والجاه فكأنه قد أثبت لله شريكاً في إعطاء العز والغنى. **وثانيها:** لعل ذلك الكافر مع كونه منكراً للبعث كان عابد صنم فبين هذا المؤمن فساد قوله بإثبات الشركاء. **وثالثها:** أن هذا الكافر لما عَجَّزَ اللهَ عن البعث والحشر فقد جعله مساوياً للخلق في هذا العَجْز وإذا أثبت المساواة فقد أثبت الشريك.(١)

ثانياً: دور آداب الحوار في الإصلاح الاجتماعي من خلال (قصة صاحب الجنتين)

ويمكن إبراز دور آداب الحوار في (قصة صاحب الجنتين)، من خلال النقاط التالية:

١ـ آداب الحوار والكشف عن دواعي الاستعلاء البشري، ومعالجته

وقوله (وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾) **(الكهف : ٣٥)**

وكان حقا عليه أن يشكر هذه النعمة، وأن يشعر صاحبه بأن له حق الأخوة والصحبة فيها، ولكنه تكبر وافتخر بها، وإذا دخل الفخار في نفس من أنعم الله تعالى عليه بنعمة، فإن الفخار وراء الغرور والكبر، إذ الكبر بطر النعمة وغمط الناس؛ ولِ لذا كان صاحبه أول من بادره بالمفاخرة.

ودَعَتْهُ نفسه إلى الاستعلاء هو سبب القول (لِصَٰحِبِهِۦ)، والصاحب هو : مَنْ يصاحبك ولو لم تكن تحبه (يُحَاوِرُهُۥٓ) أي : يجادله بأن يقول أحدهما فيرد عليه الآخر حتى يصلوا إلى نتيجة . فماذا قال صاحبه؟ قال : (أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا) يقصد الجنتين وما فيهما من نعم (وَأَعَزُّ نَفَرًا) داخلة في قوله : (وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ) وهكذا استغنى هذا بالمال والولد .

ثم يقول الحق تبارك وتعالى : (وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ

(١) انظر: تفسير الفخر الرازى ، ج١، ص٢٩١٦، مرجع سابق.

أَبَدًا)(**الكهف٣٥**) أي دخل الجنة في هذه الحال التي استولت عليه حال الغرور، وحال التعالي الكاذب وعدم المبالاة إلا بالساعة التي هو فيها، واندفع بها إلى الشرك، وهو بذلك الغرور والكبر وغمط الناس ظالم لنفسه، فظلمه لنفسه بهذا الذي هو محيط به، وقد أداه إلى الشرك كما ذكرنا وذلك ظلم عظيم، وقد أداه ذلك إلى أن يقول: (مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا)، فهو حكم بالحاضر على المستقبل، وذلك شأن المادي الذي يأسر الحاضر تفكيره، حتى لَا يفكر إلا في محيطه، وقد عرفنا أنهما جنتان، فلماذا قال : (وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ) نقول: لأن الإنسان إنْ كان له جنتان فلنْ يدخلهما معاً في وقت واحد، بل حَالَ دخوله سوف يواجه جنةً واحدة ، ثم بعد ذلك يدخل الأخرى .

وقوله : (وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ) قد يظلم الإنسان غيره ، لكن كيف يظلم نفسه هو؟ يظلم الإنسان نفسه حينما يُرخي لها عنان الشهوات، فيحرمها من مشتهيات أخرى، ويُفوّت عليها ما هو أبقى وأعظم، وظلم الإنسان يقع على نفسه؛ لأن النفس لها جانبان: نفسٌ تشتهي ، ووجدان يردع بالفطرة ، فقد ظلم نفسه عندما خطر بباله الاستعلاء بالغِنَى، والغرور بالنعمة ، فقال: ما أظنُّ أنْ تبيدَ هذه النعمة ، أو تزول هذه الجنة الوارفة أو تهلك ، لقد غَرَّهُ واقع ملموس أمام عينيه استبعد معه أن يزول عنه كل هذا النعيم ، ليس هذا وفقط ، بل دعاه غروره إلى أكثر من هذا فقال : (وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً) [(١)].

ولا شك أن الغرور أو الاستعلاء البشري مرض اجتماعي، قد يُؤدي بصاحبه إلى الكفر، ولخطورته كان لابد من معالجته واقتلاع جذوره من نفس صاحب الجنتين، وتُصور لنا الآيات كيف استطاع الصاحب المؤمن برفقه ولين كلامه وأدبه أن يصنع حوارًا راقيًا؟ وأكَّد لنا صحة قول القائل: **(من لانت كلمته وجبت محبته)** ، أما صاحب الجنتين فهذا حاله : " هكذا أطلق لغروره العنان ، وإنْ قُبلَتْ منه : (مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا) فلا يُقبَل منه (وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً) (الكهف : ٣٦) لذلك لما أنكر قيام الساعة هَزَّته الأوامر الوجدانية، فاستدرك قائلا : (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى) أي : على كل حال إنْ رُددتُ إلى ربي في القيامة، فسوف يكون لي أكثر من هذا وأعظم وكأنه ضمن أن الله تعالى أَعدَّ له ما هو أفضل من هذا .

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، ج٩، ص٤٥٢٩، ٤٥٣٠، بتصرف، وتفسير القرطبي، ج١٠، ص٤٠٤، بتصرف، مرجع سابق.

ونقف لنتأمل قَوْل هذا الجاحد المستعلي بنعمة الله عليه المفتون بها (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي) حيث يعرف أن له رباً سيرجع إليه ، فإنْ كنت كذوباً فكُنْ ذَكُوراً ، لا تُناقِض نفسك ، فما حدَث منك من استعلاء وغرور وشَكٍّ في قيام الساعة يتنافى وقولك: (رَبِّي) ولا يناسبه قولك: (مُنْقَلَباً) أي : مرجعاً .

ينفي إيمانه بالساعة، ويقول مستهينا، غير عابئ كأن الأمر لا يوجب اهتمامه (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً)، والساعة هي ساعة الحساب وهي التي تكون يوم القيامة، ويفرض أنه إذا صحت الساعة فإنه سينال ما ينال في الدنيا وأكثر منها، فيقول مغترا: (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا) مرجعا أنقلب إليه، بدلا مما كنت فيه، وهو في هذا يقسم مطمئنا، فاللام الأولى الممهدة للقسم أو المومئة إليه، واللام الثانية جواب القسم، وقد أكد القول كما رأيت بالقسم، وبنون التوكيد في جوابه، وهو بهذا يقيس الحال المقبلة على الحال الحاضرة، وكأن جنات الدنيا ممتدة إلى الآخرة بل تزيد عليها، وإن هذا أقصى درجات الغرور، فهو يفتات على ربه أو يقسم عليه، وليس من المقربين إليه الذين إذا دلفوا بأعمالهم إليه، وأحبوا عباده، وعادوا بما آتاهم من خير على المحتاجين من اليتامى والمساكين وأبناء السبيل.

وإن هذا الغرور النفسي، والطغيان على الناس هو الذي أدى إلى الكفر والإيغال فيه من غير حساب، هذه هي النفس الطاغية التي تسير في طريق الكفر.

أما النفس المؤمنة وهي التي تتمثل في الرجل الآخر الذي هو أحد الرجلين اللذين ضرب بهما المثل، فإنه يتمثل فيها الرجل المؤمن فهي تحس:

أولا – بأن الله هو الخالق، وأنه خلق الإنسان من تراب وأنه الواحد الأحد.

ثانيا – وأنه هو المعطي، والمعطي يستحق الشكر.

ثالثا – والتفويض إلى الله، والإحساس بأن كل شيء عطاء منه بعد اتخاذ الأسباب.

رابعا _ وبأنه موضع الرجاء على أن يفوض الأمر إليه، وأن من أعطى يمنع إذا اغتر من أعطاه، ورغب عن طاعته، وأن عليه أن يتذكر المنع عند العطاء، وأن يتذكر حاله إذا فقد النصير وهذا جوابه لما حاوره صاحبه مفاخرا.[1].

(١) انظر: زهرة التفاسير، ج٩، ص٤٥٢٩، بتصرف، مرجع سابق.

وأما سُبل تحقيق الإصلاح الاجتماعي فيمكن إيضاحها من خلال ما يلي:

٢ـ سُبل آداب الحوار لتحقيق الإصلاح الاجتماعي من خلال (قصة صاحب الجنتين)

أ ـ (البدء بمواطن الاتفاق والقواسم الإنسانية المشتركة، والتذكير بأصل الخلقة والنشأة الأولى)

(قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾). **الكهف: (٣٧ :٣٨)**

إن البدء بنقاط الاتفاق لدى الطرفين، كالمسلمات والبديهيات وغيرها من الأمور المتفق عليها كل ذلك يُقلل الفجوة ويوثق الصلة بين الطرفين، ويحس كل منهما أن هوة الخلاف قليلة، وهذا له مردوده النفسي في الحوار. وبالعكس؛ فإن البدء بنقاط الخلاف يُوسع فجوة الخلاف، وبخاصة من الناحية النفسية، وتبرز لنا تجليات هذا الأدب ودوره في الإقناع ومن ثَمَّ في الإصلاح في قوله تعالى:(قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا) ، وهنا يردُّ عليه صاحبه المؤمن مُحَاوراً ومُجادلاً ليجُلّيَ له وَجْه الصواب : (أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ) أي : هذا هو التأكيد الأول يقول له: إنك نسيت خلقك الأول أنشئت من تراب ثم من ماء مهين، ثم كانت أدوارك من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات نطفة في قرار مكين، ثم مضغة ثم عظاما ثم كسونا العظام لحما ثم صرت رجلا سويا، وخلقت ضعيفا في كل أدوارك ثم صرت رجلا غرك الغرور، أشار إلى كل هذا في كلماته الموجزة المشيرة والموضحة، ونبهه إلى أنه كفر بكل هذا في استفهام إنكاري توبيخي، لأنه لإنكار ما وقع منه من كفر بربه الذي خلقه فسواه في أحسن تقويم.(١). (لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾) ، ولكن للاستدراك، المؤمن يستدرك على ما قاله صاحبه: أنا لستُ مثلك فيما تذهب إليه، فإنْ كنت قد كفرتَ بالذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سوَّاك رجلاً، فأنا لم أكفر بمَنْ خلقني ، فقَوْلي واعتقادي الذي أومن به : (هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى).

ونلاحظ أن الكافر لم يَقُلْ: الله ربي، إنما جاءتْ ربي على لسانه في معرض الحديث، والفرْق كبير بين القولين؛ لأن الربّ هو الخالق المتولّي للتربية، وهذا أمر لا يشكّ فيه أحد، ولا اعتراض

(١) انظر: : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي ج٣، ص٢٤٧، وزهرة التفاسير، ج٩، ص٤٥٣١، بتصرف، مرجع سابق .

عليه، إنما الشكّ في الإله المعبود المطاع، فالربوبية عطاء، ولكن الألوهية تكليف؛ لذلك اعترف الكافر بالربوبية، وأنكر الألوهية والتكليف ثم يؤكد المؤمن إيمانه فيقول :(وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا) **(الكهف: ٣٨)**.[١]، ولم يقتصر على ذكرها بلسانه وإنما عقب بأمر مهم يتلخص في طلب الهداية لصاحبه:

ب ▪ طلب الهداية للغير والحرص عليها

(وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١) **(الكهف ٣٩: ٤١)**

ولم يكتفِ المؤمن بأن لصاحبه ما هو فيه من الكفر، بل أراد أنْ يُعدّي إيمانه إلى الغير، فهذه طبيعة المؤمن أنْ يكون حريصاً على هداية غيره، لذلك بعد أنْ أوضح إيمانه بالله تعالى أراد أن يُعلِّم صاحبه كيف يكون مؤمناً، ولا يكمُل إيمان المؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأيضاً من العقل للمؤمن أن يحاول أن يهدي الكافر؛ لأن المؤمن صُحح سلوكه بالنسبة للآخرين، ومن الخير للمؤمن أيضاً أن يُصحِّح سلوك الكافر بالإيمان.

لذلك من الخير بدل أنْ تدعوَ على عدوك أن تدعو له بالهداية؛ لأن دعاءك عليه سيُزيد من شقائك به، وها هو يدعو صاحبه، فيقول:(وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ)

أراد أنْ يُعلمه سبيل الإيمان في استقبال النعمة، بأنْ يردَّ النعم إلى المنعم؛ لأن النعمة التي يتقلّب فيها الإنسان لا فضْلَ له فيها، فكلها موهوبة من الله، فهذه الحدائق والبساتين كيف آتتْ أُكُلها؟ إنها الأرض التي خلقها الله لك، وعندما حرثْتها بآلة من الخشب أو الحديد، وهو موهوب من الله لا دَخْلَ لك فيه ، والقوة التي أعانتك على العمل موهوبة لك يمكن أن تُسلبَ منك في أيّ وقت ، فتصير ضعيفاً لا تقدر على شيء .

إذن : حينما تنظر إلى كُلِّ هذه المسائل تجدها منتهيةً إلى العطاء الأعلى من الله سبحانه.[٢].

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، ج٩، ص٤٥٣١، بتصرف، مرجع سابق .

(٢) انظر: المرجع السابق، ج٩، ص٤٥٣٢، بتصرف..

نعود إلى المؤمن الذي ينصح صاحبه الكافر، ويُعلِّمه كيف يستقبل نعمة الله عليه: (وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ)، (لولا) بمعنى: هلاَّ وهي للحثِّ والتحضيض، وعلى الإنسان إذا رأى ما يعجبه في مال أو ولد حتى لو أعجبه وجهه في المرآة عليه أن يقول :(ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ، **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ مِنْ أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَيَرَى فِيهِ آفَةً دُونَ الْمَوْتِ)**[1].

والعجيب أن المؤمن الفقير الذي لا يملك من متاع الدنيا شيئاً يدل صاحبه الكافر على مفتاح الخير الذي يزيده من خير الدنيا ، رغم ما يتقلّب فيه من نعيمها ، فمفتاح زيادة الخير في الدنيا ودوام النعمة فيها أن نقول : (مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ)، ويستطرد المؤمن ، فيُبيّن لصاحبه ما عيَّره به من أنه فقير وهو غني ، وما استعلى عليه بماله وولده : (إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا) ، ثم ذكّره بأن الله تعالى قادر على أنْ يُبدِّل هذا الحال، فقال : (فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ) ،وبهذا يكون قد ضرب الله مثلاً لمن عكف على هواه، وقصر همته على زخارف دنياه، ولمن توجه بهمته إلى مولاه ، وقدَّم دنياه لأخراه ؛ فكان عاقبة الأول : الندم والخسران ، وعاقبة الثاني: الهنا والرضوان، أوْ لمن وقف مع علمه واعتمد عليه، ولمن تبرأ من حوله وقوته في طلب الوصول إليه. [2]، وبجانب الطلب للهداية لا بد من التذكير، وهذا أمر أخر في غاية الأهمية:

ج ▪ التذكير بعقاب الله للمتكبرين الغافلين

(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾) **(الكهف:٤٢– ٤٤)**، تُبين لنا هذه الآيات ملمح آخر من ملامح سُبل أدب الحوار في تحقيق الإصلاح الاجتماعي والمتمثل في تقويم السلوكيات

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، كتاب الجهاد، باب تعديد نعم الله، وما يجب من شكرها،ج٦، ص٢١٢، حديث

رقم(٤٠٦٠). قال الهيثمي ، في مجمع الزوائد،ج١٠،ص١٤٠ فيه عبد الملك بن زرارة وهو ضعيف..

(٢) انظر: تفسير البحر المديد،ج٤، ص٢٣٤، بتصرف، مرجع سابق.

الخاطئة والمعوجة لبعض أفراد المجتمع، وذلك من خلال التذكير بعقاب الله للمتكبرين، وأن نقمة الله وشيكة أن تصيب الغافلين المتبطرين.

وفجأة ينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار إلى مشهد الدمار والبوار، ومن هيئة البطر، والاستكبار إلى هيئة الندم والاستغفار؛ فلقد كان ما توقعه الرجل المؤمن :(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا) .

أي: " هلكت أشجاره المثمرة ، وأمواله المعهودة ، وأصله : من إحاطة العدو، وهو عطف على مُقدر، كأنه قيل : فوقع بعض ما وقع من المحذور، وأهلكت أمواله ، رُوي أن الله تعالى أرسل عليها نارًا فأحرقتها وغار ماؤها". (١)

ولم يكتفى الحوار بالتذكير بالعقوبة، بل قرنه بإلقاء الضوء على زوال الدنيا كلها وفنائها بُغية أن تعود النفس لرُشدها، وتَبرء من دائها العُضال، وتجنح لربها، والمتمثل في :

د ـ إلقاء ظل الفناء والزوال للدنيا في النفس البشرية بهدف استقامتها

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ (الكهف: ٤٥)

والمعنى: " وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته:(مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ) وإهلاك أموال ذي الأَمْوَالِ الباخلين بها عن حقوقها، وإزالة دنيا الكافرين به عنهم، وغير ذلك مما يشاء قادر، لا يعجزه شيء أراده، ولا يعْييه أمر أراده.

يقول: فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله، ولا يستكبر على غيره بها، ولا يغترنّ أهل الدنيا بدنياهم، فإنما مَثَلُها مثل هذا النبات الذي حَسُن استواؤه بالمطر، فلم يكن إلا رَيْثَ أن انقطع عنه الماء، فتناهى نهايته، عاد يابسا تذروه الرياح، فاسدا، تنبو عنه أعين الناظرين، ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفنى، والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير". (٢).

---

(١) المرجع السابق،ج٤، ص٢٣٣.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري،ج١٨، ص٣٠، ٣١.

يجب على الإنسان ألاّ تخدعه النعمة ولا يغره النعيم؛ لأنه موهوب من الله، فاجعل الواهب المنعِمَ سبحانه دائماً على بالك، كي يحافظ لك على نعمتك وإلا لَكُنْتَ مثل هذا الجاحد الذي استعلى واغترّ بنعمة الله فكانت عاقبته كما رأيت، وهذا مَثل في الأمر الجزئي الذي يتعلق بالمكلّف الواحد، ولو نظرتَ إليه لوجدتَه يعمُّ الدنيا كلها؛ فهو مثال مُصغَّر لحال الحياة الدنيا؛ لذلك انتقل الحق سبحانه من المثل الجزئيّ إلى المثل العام، فقال تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥ ﴾ (الكهف: ٤٥) والله تعالى في هذه الآية يوضح المجهول لنا بما عُلِم لدينا، وأهل البلاغة يقولون: في هذه الآية تشبيه تمثيل؛ لأنه سبحانه شبّه حال الدنيا في قِصَرها وسرعة زوالها بالماء الذي نزل من السماء ، فارتوتْ به الأرض، وأنبتتْ ألواناً من الزروع والثمار، ولكن سرعان ما يذبلُ هذا النبات ويصير هشيماً مُتفتتاً تذهب به الريح .

وكأن الحق سبحانه يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: كما ضربتُ لهم مَثَل الرجلين وما آل إليه أمرهما اضرب لهم مثل الحياة الدنيا وأنها تتقلّب بأهلها، وتتبدل بهم، واضرب لهم مثلاً للدنيا من واقع الدنيا نفسها [1]، ولا شك أن لسُبل الإصلاح الاجتماعي من خلال أدب الحوار في هذه القصة آثار في الدعوة إلى الله تعالى من الواجب على الدعاة إلى الله إدراكها، للتعامل بها، والتي من أهمها:

ثالثاً:أثر هذه الآداب الحوارية في الدعوة إلى اللّه تعالى من خلال (قصة صاحب الجنتين)

١▪ بيان أثر الإيمان في الاصلاح الاجتماعي، من خلال التذكير بوحدة الأصل البشري لإذابة الفوارق الاجتماعية.

٢. طلب الهداية للآخرين والحرص عليها، من أهم الأمور المتعلقة بالدعوة والدعاة، ومن أهم اختصاصاتهم.

٣▪ الترغيب والترهيب من الأساليب الدعوية وأثر من الآثار التي أبرزتها نهاية أحداث هذه القصة .

٤. الحذر من الافتتان بالدنيا، والتكالب علي متعها وبخاصة المال، وعلى الدعاة في دعوتهم

(١) انظر: التفسير الوسيط،ج٨، ص٥٢٥، وتفسير الشعراوي، ج١، ص٥٤١٧ ،٥٤١٨ بتصرف, مرجع سابق.

إلى الله أن يحذروا أن تكون الدنيا هي مبلغ علمهم وتبليغهم، وهذا لا يمنع من أن يكون الداعية غنيًا فنعم المال الصالح للرجل الصالح، لكن أن يكونا المال والدنيا شاغلان للعبد عما كُلف به فهذا مكمن الخطر.

المطلب الثاني

آداب الحوار ودورها في الاصلاح الاقتصادي (ذو القرنين أنموذجاً)

أولاً: أهم آداب الحوار في قصة ذي القرنين[1].

١- مراعاة الجو المحيط بالحوار

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦ ﴾ **(الكهف: ٨٦)**، وفي قوله: (وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا) **(الكهف:٩٣)**.

ويُقصد بالجو هنا الجو النفسي، والمؤثرات المحيطة بالحوار، وذلك كما في هذه الآية الكريمة ؛ حيث يوجه الله عز وجل (ذا القرنين) أن يبتعد عن التردد في أخذ القرار في حال هؤلاء القوم؛ لأن الحق قد يضيع في مثل هذه الأجواء؛ وإسناد القول إلى ضمير الجلالة (قُلْنَا) يُحتمل أنه

---

(١) ذو القرنين: اختلفت في اسمه أقوال المفسرين اختلافًا كبيرًا، لعل أقربها إلى الصواب أنه أبو كرب الحِميري، وهو الذي افتخر به تُبع اليماني " أي اليماني" حيث قال:

قد كان ذي القرنين جدي مسلمًا ملكًا علا في الأرض غير مقيد

بلغ المشـارق والمغارب يبتغي أسبـاب مُلك مـن حكيم مـرشد

ذكره أبو الريحان البيروني في كتابه المسمى: (الآثار الباقية عن القرون الخالية) ثم قال: ويشبه أن يكون هذا القول أقرب إلى الصواب لأن ملوك اليمن كانوا يُلقبون بكلمة "ذي " ، كذي نواس، وذي يزن، وذي جدل .... الخ.

وذُكر أنه كان في عصر نبي الله إبراهيم عليه السلام، وأنه اجتمع معه في مكة المكرمة، وتعاتقا، وإلى كون ذي القرنين كان في زمن إبراهيم عليه السلام ذهب غير واحد، وقد ذكر الأزرقي أنه أسلم على يديه عليه يديه عليه السلام، وطاف معه بالكعبة، وكان ثالثهما إسماعيل عليه السلام، وروي أنه حج ماشيًا، فلما سمع إبراهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له، وأوصاه بوصايا.

ويرى بعض العلماء أنه كان بعد موسى عليه السلام ويرى آخرون غير ذلك، ومن المعروف أن القرآن يهتم ببيان العبر والعظات المستفادة من القصة، لا ببيان الزمان أو المكان للأشخاص.

وأما سبب تسميته بـ(ذي القرنين) قيل: وإنما سُمي ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس ـ أي طرفها ـ من مغربها، وقرنها من مطالعها، وقيل: يجوز على مذهب أهل اللغة أن يكون سُمى(ذا القرنين) لأنه بلغ قطرى الأرض ـ طرفها ـ مشرقها ومغربها ولعل هذا هو الأقرب للصواب لقول الله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ) (الكهف من الأية ٨٦)، وقوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ) (الكهف من الأية٩٠). انظر/ روح المعاني،ج١٦، ص٢٤:٢٧بتصرف، والتفسير الوسيط،ج٨، ص١٥: ٢٤، مرجع سابق.

قول إلهام، أي ألقينا في نفسه ترددا بين أن يبادر استئصالهم وأن يمهلهم ويدعوهم إلى الإيمان وحسن العمل، ويكون قوله قال أما من ظلم، أى قال: في نفسه معتمدًا على حالة وسط بين صورتي التردد(١).

٢- مراعاة الجو الحسي (٢) للحوار

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ٩١ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٩٢﴾ **(الكهف: ٩٠ – ٩٢)**

(حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ) " يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولا من معمورة الأرض وقرئ بفتح اللام على إضمار مضاف أي مكان مطلع الشمس فإنه مصدر (وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا) من اللباس أو البناء فإن أرضهم لا تمسك الأبنية أو أنهم اتخذوا الأسراب بدل الأبنية { كذلك } أي أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك أو أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف لوجد أو (نَجۡعَل) أو صفة قوم أي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم (وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ) من الجنود والآلات والعدد والأسباب (خُبۡرٗا) علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد أن كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير(٣)، مع مراعاة آداب أخرى منها:

---

(١) راجع: التحرير والتنوير، ج١٦، ص٢٦. بتصرف، مرجع سابق.

(٢) يُقصدُ بالجو الحسي للحوار: وذلك من حيث البرودة والحرارة والاتساع والضيق ..إلخ ؛ لأن وجود ما يؤذي في جو الحوار يؤثر على طبيعة النقاش ونتيجته ، وقد يبتر النقاش ، أو يختصر دون وصول إلى نتيجة، وكذلك . مما يتعلق بهذا الجانب، اختيار المكان الهادئ، وإتاحة الزمن الكافي للحوار، فلا تصلح أماكن الدراسة، والعمل، والأسواق للحوار، وذلك لضيق الوقت، ولوجود ما يشغل. انظر/ صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم – دراسة في التفسير الموضوعي، المؤلف: عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، إشراف فضيلة الدكتور: حاتم محمد منصور مزروعة، الناشر: رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، عام النشر: ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م. ج١، ص٩١.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للإمام البيضاوي، ج١، ص٥٢٠. مرجع سابق.

٣- مراعاة الظرف النفسي والاجتماعي للطرف المحاوَر أو المحاوِر

(حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾) **(الكهف: ٩٠)**.

فلا يصلح أبداً أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق الجسدي لتعب، أو حاجة لنوم، أو بسبب جوع ، أو يعاني من إرهاق نفسي : كهمٍ، أو غمٍ ، أو حزن ؛ أو خوف هذه الظروف لابد أن تؤثر حتماً على الحوار؛ إما ببتره قبل تمامه، أو حدوث انفعالات، وغضب، وتوتر، يؤدي بالحوار إلى الفشل الذريع، ومن الأمور المهمة والمفيدة لعملية الحوار الأدب التالي:

٤- ينبغي اجتماع أصحاب الحوار في مكان واحد ، وتقابلهما فيه

(حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ) **(الكهف: ٨٦)** ، و (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا) **(الكهف:٩٣)**.

وأن ينظر بعضهم للآخر؛ لأن رؤية الوجوه والملامح له أثر في قوة الحجة أو ضعفها ، وفي هذه الحالة لا تصلح المراسلات للحوار، ولا يصلح كذلك الحوار بواسطة الهاتف إلا في أضيق الظروف .

ثانياً: سُبل الإصلاح الاقتصادي من خلال أدب الحوار في قصة ذي القرنين

قال تعالى: (وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءَ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾) **(الكهف: ٨٣ –٨٩)**

من القصص الفريد والمتميز في سورة الكهف، ولقد حوت هذه القصة نموذجًا فريدًا فذًا للقيادة والقوة، والإصلاح في أبهى صوره عندما يكون بيد ربانية صالحة، وبخاصة الاصلاح الاقتصادي في شتى ميادينه، ويرجع الإصلاح الاقتصادي في زمن ذي القرنين إلى مجموعة من الإمكانات والأمور المهمة والتي يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

١ـ مؤهلات و قدرات القائد

(وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن

كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾) .

يحتاج الاصلاح الاقتصادي في أي مجتمع من المجتمعات إلى قائد صاحب رؤي ومؤهلات وقدرات خاصة، يستطيع من خلالها اتخاذ قرارات مناسبة تساعد في إيجاد هذا الإصلاح بشتى صوره وطرقه، و ذو القرنين كما سماه الله في القرآن، واختلفوا حول سبب تسميته بهذا الاسم ، وتحديد شخصيته(١)، ولكن الأرجح أن نسميه بما سماه به القرآن دون الإسهاب في تسميات أخرى " إنه ذو القرنين القرآني الذي ذكره الله في كتابه العزيز، وأثنى عليه بالإيمان والإصلاح والعدل في سورة قرآنية عظيمة..." (٢)

ومما ورد في مناقبه ومؤهلاته، أنه كان حاكم صالح ، وقائد باسل موفق ومؤيد من الله تعالى، (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ)، فيسر الله له أسباب الإصلاح فكان الرخاء الاقتصادي لمن عاش تحت حكمه، وسلطانه أعطيناه ملكًا عظيمًا متمكنًا، فيه له من جميع ما يؤتى الملوك، من التمكين والجنود، وآلات الحرب والحصارات؛ ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد، وخدمته الأمم، من العرب والعجم؛ ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها (وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا) **(الكهف: ٨٨)** (٣)، وأما علامة صلاحه وتقواه فقوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾) **(الكهف: ٨٨)**أي فاختار الدعوة وقال : أما من دعوته فظلم نفسه بالإصرار على كفره أو استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه أنا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرًا لم يعهد مثله (٤).

وقوله تعالى في نهاية القصة: (قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾) **(الكهف: ٩٨)**والمتأمل في هذه الآية يجد أن لفظة رب تكررت ثلاث مرات على لسان ذي

---

(١) راجع في ذلك : تفسير ابن كثير، ج٥، ص١٨٩، تفسير المراغي، المؤلف : الشيخ / أحمد مصطفى المراغي، ج٦، ص١٣، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، بدون تاريخ.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام الطبري، ج١٨، ص١٠٦، مرجع سابق.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٥، ص١٨٩، ١٩٠، بتصرف، مرجع سابق.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للإمام عبدالله بن عمر بن محمد المعروف بالقاضي البيضاوي، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، ج١، ص٥٢٠، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٨هـ، ط:دار إحياء التراث العربي.

القرنين، ما يدل على صلاحه وتقواه، وإخلاصه وتعلقه بالله، وبجانب هذه المؤهلات والإمكانات السفر والترحال.

٢ ـ السفر والترحال واكتساب ونقل الخبرات

(إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا)

وقد سجل السياق القرآني لذي القرنين ثلاث رحلات : واحدة إلى المغرب (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ) وواحدة إلى المشرق ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾ وواحدة إلى مكان بين السدين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا ﴾؛ فلنتابع السياق في هذه الرحلات الثلاث.

يبدأ الحديث عن ذي القرنين بشيء عنه :(إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا)

لقد مكن الله له في الأرض ، فأعطاه سلطاناً وطيد الدعائم؛ ويسر له أسباب الحكم والفتح ، وأسباب البناء والعمران ، وأسباب السلطان والمتاع . . وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة ، وإذا أردنا تعبيرًا دقيقًا أي أُعطي (مقومات الاقتصاد) .

(فَأَتْبَعَ سَبَبًا) ، ومضى في وجه مما هو ميسر له، وسلك طريقه إلى الغرب ،(حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) .

" جنَّد ذو القرنين من أهل المغرب أممًا عظيمة، فجعلهم جندًا واحدًا، ثم انطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم، والنور أمامهم يقودهم ويدلهم، وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى، وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل. وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره، فلا يخطئ إذا ائتمر، وإذا عمل عملا أتقنه. فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال، فنظمها في ساعة، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود، فإذا قطع الأنهار والبحار

فتقها، ثم دفع إلى كلّ إنسان لوحا فلا يكرثه حمله " [1]

ثم عاد ذو القرنين من رحلة المغرب إلى رحلة المشرق ، ممكناً له في الأرض ، ميسرة له الأسباب: فاتخذ مجموعة من القرارات، ووضع دستورًا ينظم ويحفز من خلاله أهل النشاط، والانتاج، ويعاقب أهل الفساد، ويضرب بيد من حديد على أيدي الظلمة .

٣ ـ وضع دستور وقواعد حاكمة من أجل النهوض الاقتصادي

(قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾) (الكهف ٨٧: ٨٩)

والمهم أن ذا القرنين أعلن دستوره في معاملة البلاد المفتوحة، التي دان له أهلها ومَنَّ الله عليها به؛ فأعلن أن للمعتدين الظالمين عذابه الدنيوي وعقابه، وأنهم بعد ذلك يردون إلى ربهم فيعذبهم عذاباً فظيعاً (نُّكْرًا) لا نظير له فيما يعرفه البشر، وأما المؤمنون الصالحون فلهم الجزاء الحسن ، والمعاملة الطيبة، والتكريم والمعونة والتيسير.

" يضع ذو القرنين لنا أساس عملية الجزاء التي هي ميزان المجتمع أنه بالنسبة للظالمين ، يعذب ، ويقتص ، ويرهب النفوس المنحرفة ، حتى تعود إلى رشدها ، وتقف عند حدودها.

وبالنسبة للمؤمنين الصالحين ، يقابل إحسانهم بإحسان وصلاحهم بصلاح واستقامتهم بالتكريم والقول الطيب ، والجزاء الحسن.

وهكذا الحاكم الصالح في كل زمان ومكان : الظالمون والمعتدون .. يجدون منه كل شدة تردعهم وتزجرهم وتوقفهم عند حدودهم.

والمؤمنون والمصلحون يجدون منه كل تكريم وإحسان واحترام وقول طيب؛ فمجتمع بلا جزاءات تُثيب المُجِد، وتُعاقب المقصر مجتمع ينتهي إلى الفوضى والتسيب؛ فإن أمن الناس العقاب تكاسلوا .. إذن فميزان المجتمع وأساس نهضته قوله تعالى : (قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾) ، فما أجمل أن نرصد المكافآت التشجيعية، والجوائز، وتقام

(١) ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، محمد خير رمضان، ص ٢٤٨، بتصرف يسير، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ط: دار القلم ، دمشق.

حفلات التكريم للمتميزين شريطة أن يقوم ميزان الاختيار على الحق والعدل " [١]

ويمكن القول: بأن الحوارات التي دارت بين ذي القرنين وبين أهل زمانه، كانت لها الفضل في الكشف عن مؤهلات الرجل وإمكاناته، وسفره وترحاله، بل وانجازاته والتي من أهمها أحد أهم سبل الإصلاح الاقتصادي في فكر هذا الرجل والقائد الصالح وهو (التخطيط وتوظيف الطاقات)، والتي استطاع من خلالهما إحداث انجازات في مجال الاقتصاد يمكن إلقاء الضوء عليها من خلال العنصر التالي:

٤ ـ التخطيط وتوظيف الطاقات وتقديم الكفاءات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾، وقال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾.

تُعدُّ هذه الآيات مقتطفات من حوارات دارت بين ذي القرنين وغيره ممن كانوا معه وتحت سلطانه؛ فكشفت لنا مجموعة من الانجازات كان أساسها التخطيط، وحُسن توظيف طاقات من حوله من البشر، وكذلك المواد الخام، والموارد الطبيعية الموجودة حينئذ، مع الاستعانة بأرباب الكفاءات والخبرات ما أدى إلى الاصلاح الاقتصادي المنشود .

" إن ذا القرنين شرع في إصلاح البلاد، وعمارتها بمختلف المنشآت النافعة في مجال: الزراعة، والصناعة، والعلم، وغير ذلك؛ فإنه كان ينهض في البلاد يدعو إلى الله، وجعلها دعوة قائمة على الأخذ بسنن الله تعالى في كل شيء، فاعتنى بالعلم، فكان عنده العلماء في كل فن من الفنون التي كانت معروفة في ذلك الزمن البعيد، واعتنى بالصناعة، فكان عنده صناع مهرة في كل ما عُرف في زمانهم من أنواع الصناعة.

واعتنى بالجيش، وآلات الحروب، وفنون القتال، فكان أقوى جيش في عصره، وكان لا يُقبل على أمر إلا أخذ له عُدته، وأسبابه العلمية، والفنية، والمادية التي تَكْفُل نجاحه.

فكان من أجل ذلك كله مصلحًا، منشئًا، منتصرًا حيثما حَلَّ، وأينما سار، وقد أشار القرآن إشارة دقيقة إلى هذا فقال تعالى: (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾) أى: آتاه الله

(١) انظر: التفسير الوسيط ،ج٨، ص٥٧٢، وتفسير الشعراوي ،ج١٤، ص٨٩٨٥، مرجع سابق.

تعالى من أسباب النجاح في كل شيء أراده سببًا يصل به إلى مطلوبه " [١]

ومن الأدلة الساطعة على الإصلاح الاقتصادي في أبهى صوره عمليًا (بناء السد) لحماية البشرية، من إفساد يأجوج ومأجوج (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾).

وحكي في الكيفية أن ذا القرنين قاس ما بين الصدفين من حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل حشوه الصخر وطينه النحاس مذاب، ثم يصب عليه والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وضع المنافخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا . وقيل: طول ما بين السدين مائة فرسخ وعرضه خمسون. [٢] .

ـ **وأما تقديم أصحاب الكفاءات، والاستعانة بهم في التنفيذ والتطبيق**، فهذا انجاز عظيم من انجازات ذي القرنين ورد إلينا عبر حوار هادئ من حوارات قصة ذي القرنين في سورة الكهف، حيث قال لرعيته: (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾) .

" أى: قال ذو القرنين لهؤلاء القوم الذين لا يكادون يفقهون قولا: إن ما بسطه الله – تعالى – لي من الرزق والمال والقوة .. خير من خرجكم ومالكم الذي تريدون أن تجعلوه لي في إقامة السد بينكم وبين يأجوج ومأجوج، فوفروا عليكم أموالكم، وقفو إلى جانبي فَأَعِينُونِي بسواعدكم وبآلات البناء بِقُوَّةٍ أى : بكل ما أتقوى به على المقصود وهو بناء السد ، لكي أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وبين يأجوج ومأجوج« ردما».

أى : حاجزا حصينا. وجدارا متينا، يحول بينكم وبينهم. والقوْل هنا أيضاً قَوْل دلالة وإشارة تُفهمهم أنه في غِنىً عن الأجر، فعنده الكثير من الخير الذي أعطاه الله، إنما هو في حاجة إلى قوة بشرية عاملة تُعِينه، وتقوم معه بتنفيذ هذا العمل .

ونفهم من الآية أن المعونة من المُمكَّن في الأرض المالك للشيء يجب أن تكون حِسْبة لله، وأنْ تُعين معونة لا تحوج الذي تعينه إلى أن تُعينه كل وقت، بل أعنه إعانة تغنيه أن يحتاج إلى المعونة فيما بعد، كأن تعلّمه أنْ يعمل بنفسه بدل أنْ تعطيه مثلاً مالاً ينفقه في يومه وساعته ثم

(١) ذو القرنين، للأستاذ: محمد أحمد برانق، ص١٧، ١٨، ط١١، مصر، دار المعارف، بدون تاريخ.

(٢) تفسير البحر المحيط. لأبي حيان الأندلسي ،ج٦، ص١٥٥، مرجع سابق.

يعود محتاجاً؛ لذلك يقولون : لا تُعطِني سمكة، ولكن علِّمني كيف أصطاد ، وهكذا تكون الإعانة مستمرة دائمة ، لها نَفَس ، ولها عُمْر ولما كان ذو القرنين ممكّناً في الأرض ، وفي يده الكثير من الخيرات والأموال ، فهو في حاجة لا إلى مال بل إلى الطاقة البشرية العاملة" [١].

ولكن تكمن أهمية هذه القواعد والآداب الضابطة لعملية الحوار في أن لها أثر فعال في الدعوة إلى يمكن الإشارة إليه فيما يلي:

ثالثاً: أثر هذه الآداب الحوارية في الدعوة إلى اللّه تعالى من خلال (قصة ذي القرنين)

١. أن القائد الحق هو من يتخذ من قيادته وعلمه وسيلة لدعوة مَنْ حوله إلى القيم والمبادئ التي جاء بها الأنبياء والمرسلون.

٢. أن الترغيب والترهيب وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، ولكون القائد والحاكم هو مَنْ بيده قرار الإثابة والعقوبة، فإن الحوار بين ذي القرنين وبين الأقوام التي التقى بها على مستوى الدنيا في عهده أثاب المؤمن المطيع، وعاقب الكافر الظالم، وكان لذلك أثره في الدعوة إلى الله تعالى في عهد علي يده فكان ملكًا وفي نفس الوقت داعية.

٣. أن النهوض الاقتصادي الملموس في عهد ذي القرنين، إنما أتى كنتيجة لعدله، وسماحته ورحمته برَعِيَّته، حيث العدالة في توزيع الثروات (فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ)، ومتابعة وملاحقة الفاسدين (قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ) ولاشك أن هذه المقومات التي امتلكها ذو القرنين، وعرفنها من خلال الحوارات الواردة في قصته من خلال سورة الكهف لها أثرها الإيجابي في الدعوة الإسلامية ؛ فلولا الحوارات التي قصتها علينا السورة المباركة ما كنا لنعرف عن الرجل وانجازاته شيئا، وما عرفنا أنه كان قائد وحاكم وأيضًا داعية إلى الله تعالى.

(١) انظر: التفسير الوسيط،ج٨، ص٥٧٤، بتصرف. مرجع سابق.

المَبْحَثُ الثَّالِث

سُبُلُ الإِفَادَةِ المُعَاصِرَةِ لِلدَّعْوَةِ وَالدُّعَاةِ مِنْ خِلَالِ آدَابِ الحُوَارِ فِي السُّوْرَةِ المباركة

بعد هذا العرض لبعض النماذج الحوارية الواردة في مواضع متفرقة من سورة الكهف، يأتي الحديث عن أهم سُبل الإفادة المعاصرة للدعوة والدعاة من خلال هذه الآداب التي التزم بها كل من الطرفين أثناء الحوار بينهما في كل موقف ونموذج على حدة، ولاشك أن هذه النماذج الحوارية في السورة الكريمة تتشابه فيما بينها في بعض الآداب الحوارية، والبعض الأخر منها لطبيعة الموقف أو النموذج ليس إلا ، انفردت ببعض الآداب الخاصة بها دون غيرها، وهذا ما يدعونا في هذا المبحث إلى المقارنة السريعة بين النماذج الأربعة السابق ذكرها والواردة بالسورة الكريمة وهي(أصحاب الكهف، موسى والخضر، صاحب الجنتين، ذو القرنين) لاستخلاص ما انفرد به كل نموذج من آداب وضوابط دون بقية النماذج، ثم بيان سُبل الإفادة من هذه الآداب والضوابط للدعاة في العصر الحاضر وبعد هذا التوصيف يأتي التوظيف؛ فنبين كيفية توظيف هذه (الآداب والضوابط) في خدمة الدعوة الإسلامية، وهذا ما سيوضحه المطلبان التاليان:

المطلب الأول: أهم الآداب والضوابط الحوارية المشتركة و المستفادة من خلال قصص سورة الكهف، وعلاقتها بالدعوة الإسلامية.

المطلب الثاني: سبل الإفادة من آداب الحوار وضوابطه للدعاة إلى الله تعالى.

المطلب الأول

أهم الآداب والضوابط المستفادة والمشتركة بين قصص سورة الكهف، وعلاقتها بالدعوة الإسلامية

أولاً: أهم الآداب والضوابط المستفادة والمشتركة بين قصص سورة الكهف .

بعد هذا العرض لأهم آداب الحوار من خلال سورة الكهف يمكن استخلاص بعض الآداب التي تكررت معنا أثناء هذا العرض إجمالاً، ولعل الهدف من ذلك أن المعنى يتضح، وتصبح هذه الآداب التي تكررت أكثر من مرة بمثابة الأصول المنهجية بل والمسلمات البديهية التي ننطلق من خلالها في حواراتنا، ومناظراتنا حتى نصل إلى الهدف المطلوب من أي حوار نقيمه مع أي فرد أيًا كان توجهه، أو معتقده، بغية الوصول إلى الحق، والرشاد، ومن أهم الآداب الحوارية التي تكررت معنا من خلال سورة الكهف ما يلي:

١. **التزام طرفَيِّ الحوار بالمنهج العلمي: بأن يكونا على دراية ووعى بآداب وضوابط الحوار قبل وأثناء، وحتى بعد انتهاء عملية الحوار**، وتأتي سورة الكهف لتكون على رأس سور القرآن الكريم، والتي اشتملت على مجموعة من هذه الآداب والضوابط والقواعد والأصول، تَمَّ ذكر أهمها فيما سبق.

٢. **عدم الخروج عن الموضوع محل الحوار؛ بأن يلتزم طرفا الحوار بالموضوعية في الحوار** : فتَفَرُّع وتشعُّب موضوعات وقضايا الحوار سبب من أسباب فشله وانعدام فائدته.

٣. **التدرج في عرض الحجة أثناء الحوار**: كلما كان هناك تدرج من أطراف الحوار في عرض محتويات القضية التي يدور حولها الحوار؛ كلما كان أفضل وأجدى لعملية الحوار ولطرفيه.

٤. **أن يقوم الحوار على المعلومات الصحيحة، لا على الأخبار المضطربة**: فمن الضروري أن يُبنى الحوار على الحقائق الثابتة، لا على الإشاعات الكاذبة.

٥. **عدم التعميم في الأحكام، وتحديد المسائل والقضايا محل الحوار تحديداً دقيقاً** : فنرى هذا واضحًا في آيات القرآن الكريم، ومن بينها آيات سورة الكهف؛ فالقرآن ابتعد في توجيهاته عن التعميم وإنما وُضع كل لفظ في المعنى الذي يليق به، وأعطى كل مسألة الحكم الذي يناسبها بكل دقة وموضوعية، ولعل في ذلك درسًا حكيمًا للذين يُلقون القول على عواهنه، ويُطلقون الأحكام

في محاوراتهم ومجادلاتهم بلا دليل ولا برهان يستندون إليه [١].

٦. **التسليم بالحقائق بعد استجلائها، وقبول النتائج التي توصلت إليها الأدلة القاطعة بعد إحكام عرضها وحُسن توثيقها أثناء عملية الحوار.**

وهذه الآداب وغيرها لها علاقتها الوثيقة بالدعوة الإسلامية منذ سطع نورها على العالمين، من خلال منهج نبيها(ﷺ) واقتدى به الصحابة في ذلك، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

ثانياً: علاقتها بالدعوة الإسلامية.

وقبل بيان سبل الإفادة المعاصرة للدعاة إلى الله من خلال معرفتهم بهذه الآداب أُشير إلى أن منهج النبي (ﷺ)، وكذلك الخلفاء الراشدين من بعده برزت فيه معالم هذه الآداب، وقد سجل التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية المطهرة نماذج مضيئة له ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذا الشأن كما أن المتأمل فيهما يجد تطبيقًا عمليًا منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهذه الآداب في العديد من حواراته، وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم، ومن ذلك حواره ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع نصارى نجران، فلقد تجسد في هذا الحوار منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل آداب الحوار السالف ذكرها وزيادة، وبالرغم من ظهور الحق معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإقامته للحجة عليهم لكنه لم يتعصب عليهم أو أكرههم على شيء، وغيرها من القيم والآداب الأخرى.

" لقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكثر الناس أدبًا في الحوار والسلوك، وأشدهم حياءً وأوفرهم رقة ومجاملة للآخرين، كان هذا سلوكه مع الناس جميعًا حتى مع مشركي قريش إذا حادثهم في غير شئون الدعوة؛ كانت وفرة أدبه ورقة مجاملته من الأمور التي يعرفها عامة الناس وخاصتهم على وجه سواء... وكان هذا السلوك يتضح في حواره مع غيره من البشر أفرادًا أم جماعات حضرًا كانوا أم بدوًا مشركين كانوا أم مؤمنين كتابيين كانوا أم مسلمين أنصارًا كانوا أم مهاجرين.. وحواره ـ(ﷺ) ـ يأخذ لكل حالة مقتضاها، ولكل موقف لبوسه، في نطاق من نصاعة البيان، وسلاسة القول، ورقة الحوار، وسعة الصدر، وجلال التسامح، وكظم الغيظ، ويسر الإقناع، ضاربًا بذلك الأمثال للمسلمين ـ بل للناس جميعًا ـ أن يتمثلوا حلمه، ويحفظوا قوله، ويلتزموا سبيله،

(١) انظر: أدب الحوار، د: محمد سيد طنطاوي، ص٤٢، بتصرف ، ط١، سنة ١٩٩٧م، طبعة دار نهضة مصر القاهرة.

ويتبعوا سنته ، ويقتفوا أثره .." [١].

ونحن مأمورون بالاقتداء به قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

والصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ كان لأدب الحوار معالم واضحة في حواراتهم وكلامهم المُبَيّن لركائز الدعوة الإسلامية ومحاسنها، ومن بينهم على ـ سبيل المثال لا الحصر ـ سيدنا جعفر ابن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ وحواره المشهور مع ملك الحبشة (النجاشي)، وغيره الكثير من الصحابة [٢].

ومن خلال ما سبق يمكن القول : بأن العَلاقة بين آداب وضوابط الحوار كما صورتها سورة الكهف وبين الدعوة الإسلامية منذ ظهورها بنبوة نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وثيقة ووطيدة فالمنهج النبوي في التعامل مع الناس بصفة عامة ـ مسلمون وغير مسلمين ـ متمثلة في أدب الحوار والسلوك من جانب النبي ـ صلى الله عليه ـ في جميع حواراته المُسجلة في السنة النبوية، والسيرة، والتاريخ الإسلامي، ولم يكن ليفرق في حواراته بين القريب والبعيد أو المسلم وغير المسلم، وهذا ما لمسه وأدركه المنصفون بعد ذلك من غير المسلمين ونطقت به ألسنتهم، واعترفت به عقولهم؛ بل وسار على نهجه الصحابة والتابعون في حواراتهم ومناظراتهم، وهذا ما ينبغي أن ينهجه المتحاورون من الدعاة إلى الله، وغيرهم ومحاولة الاستفادة منه في العصر الحاضر، ونشاهده عبر وسائل الإعلام والتواصل المختلفة، وهذا ما يمكن أن نُلقي الضوء عليه من خلال المطلب التالي:

❁ ❁ ❁ ❁

(١) انظر وراجع للمزيد عن أدب الحوار ونماذج منه في كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) : البيان المحمدي، د: مصطفى الشكعة، ص ٧٣، ٧٤ وما بعدها، سنة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، طبعة الدار المصرية اللبنانية ، بدون رقم طبعة.

(٢) راجع في ذلك: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي ، ج٢، ص٢٨ وما بعدها، طبعة دار المعرفة بيروت . سنة ١٤٠٠هـ بدون رقم طبعة.

المطلب الثاني

سُبل الإفادة المعاصرة للدعاة إلى الله تعالى من آداب الحوار وضوابطه من خلال سورة الكهف

يُعتبر الحوار وسيلة من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، ويمكن أن يحقق فوائد جمة، إذا امتلك الداعية أدواته، والتزم بآدابه وضوابطه كما بينها الإسلام في مصادره الأصلية (القرآن والسنة).

" وإن المتتبع لحاضر العالم الإسلامي، وما يمر به من أحداث عصيبة ومتنوعة، يُدرك أهمية آداب الحوار أولاً مع الذات، لتصحيح المواقف ومراجعة الأفكار لبناء الأمة الإسلامية الواحدة، وثانيًا الحوار مع الآخر غير المسلم لتمهيد طريق التعاون بين بني البشر والمحافظة على المشتركات الإنسانية والقيم الأخلاقية دون أن يفرض طرف ثقافته ومعتقداته على الآخر، فهو بذلك يُكَوِّنُ حوارًا يحفظ للشعوب هُويتها وخصوصيتها وذاتيتها، ويمنع الصدام والتناحر والعدوان" [(١)] كل هذا وغيره من أدب جم ورُقيٍ سامي يستفيده الدعاة إلى الله تعالى من آيات سورة الكهف، والتي من بينها قول الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ **(الكهف: من الآية ٢٩)**.

لذا كان من الأهمية بمكان رصد بعض سُبل الإفادة المعاصرة للدعاة إلى الله تعالى من أدب الحوار من خلال سورة الكهف، وإلقاء الضوء عليها، والتي من أهمها ما يلي:

أولاً: التحلي بـ**التسامح، والوسطية والاعتدال في الفكر**: أثبت المسلمون قديمًا وحديثًا ومن خلال تاريخهم الحضاري، أنهم دُعاة حوار وتفاهم وتعاون مع بني الإنسان، فهم مَنْ يُقدمون ويمدون اليد دائمًا أولا ويُبادرون مِن أجل الحوار الهادف للسلم والتعايش، وهذا يصدر عنهم من منطلقات عقدية وإيمانيه منبعها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفق مجموعة من الآداب والقواعد والأصول المنهجية للحوار ومن بينها ما ورد في قصص سورة الكهف وتم بيانه فيما سبق، وهذا ما يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن التسامح والحوار، والتعايش الحضاري والسلمي مع مختلف الأديان والثقافات من مقومات الفكر الإسلامي، المنبثق من العقيدة الإسلامية السمحة، التي أقرت بالتعدد والاختلاف ضمن سنتي التنوع والتدافع، وعلى الدعاة إلى الله في العصر الحاضر إدراك ذلك والتحلي به، والإفادة من تجارب السابقين.

---

(١) انظر: ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، قيس المعايطة، ج٣، ص١٦٦،المجلة الأردنية، العدد(١)، سنة ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

ثانياً: **إدراك أهمية الحوار في ظل متغيرات العالم العلمية والمعرفية:** أرشدت سورة الكهف بآياتها الدعاة إلى الله أن يُدركوا أهمية الحوار في ظل متغيرات العالم العلمية والمعرفية، الذي أوجد فجوة دائمة ومستمرة بين ما يمتلكه من معلومات ومعارف، وبين آخر ما توصل إليه العلماء في هذا المجال، ويمكن الإفادة من ذلك من خلال الندوات واللقاءات والمؤتمرات إحدى أهم وسائل ممارسة الحوار الفعال الذي يعالج القضايا والمشكلات التي تواجه الإنسان بوجه عام، والمسلم المعاصر بوجه خاص.(١)

ثالثاً: تَعلم **فن الحوار والمناظرة:** ضرورة تدريس موضوع أدب الحوار في المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، حتى يكون المسلم المعاصر، والداعية إلى الله بوجه خاص على دراية تامة بهذه الآداب، وتلك الضوابط مع من يخالفه الرأي.

رابعاً: **التوظيف السديد، والاستثمار الدائم لآداب الحوار في تعاملاتنا:** على المصلحين والمربين والعلماء والدعاة في الواقع المعاصر استثمار هذه الآداب الواردة في قصص سورة الكهف في حياتهم العملية والدعوية، بأن يكونوا قدوة في هذا الباب خاصة على شاشات التلفاز أثناء البرامج الحوارية، أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة؛ حتى ينعكس أثر ذلك في مَنْ يقلدونهم .

خامساً: **نبذ العنف والشدة:** إن أسلوب العنف ومواجهة الخصم بأقسى العبارات وأشدها كالذي نشاهده ونسمعه في بعض وسائل الإعلام، أو في بعض وسائل التواصل الاجتماعي، ووسائل المواصلات، أو في بعض دُور العلم، وكذا بعض دُور العبادة، والمستشفيات، والمؤسسات المختلفة، ليس من آداب وأصول الحوار في الإسلام قرآنًا وسنة، فهو ليس حوارًا بالفكر وجدالاً بالحق، بل قتال بالكلمة يؤدي إلى مزيد من العبث والضياع.

سادساً: التوصيف **العلمي والتوظيف العملي لآداب الحوار عبر وسائل الإعلام المختلفة:** ينبغي طرح مثل هذه الموضوعات عبر وسائل الإعلام المختلفة، ولا سيما القنوات الفضائية، ليتعلم المشاهد فقه الاختلاف، وآداب وضوابط الحوار كما صورها القرآن وبخاصة سورة الكهف، ويقع عبء ذلك على عاتق العلماء والمصلحين والدعاة خاصة .

---

(١) انظر: الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه، منى اللبودي، ص٢١، ط١، سنة ٢٠٠٣م، طبعة مكتبة وهبة، القاهرة.

سابعاً : إدراك خطورة انعدام هذه الآداب الحوارية في حواراتنا اليومية على الفرد والمجتمع: على الدعاة والمصلحين في العصر الحاضر ضرورة إدراك أن الجهل بفقه أدب الحوار هو الحوض الذي تنمو فيه بذرة التعصب، تلك البذرة التي تخرج منها نبتة الإرهاب الخبيثة، فلن يُقضى على الإرهاب ما لم يُقض أولًا على التعصب للرأي، ولن يُقضى على التعصب ما لم يفقه الناس آداب الاختلاف والحوار وضوابطهما، وعلى المسلمين بوجه عام أن يفقهوا ذلك، والدعاة بوجه خاص أن يستفيدوا بذلك، ويُحسنوا توظيفه في خدمة دينهم ودعوتهم.

ثامناً: **ترشد سورة الكهف الدعاة إلى الله في العصر الحاضر إلى (أن اظهار الحق مطلب)** سواءً كان اظهاره على يدي أو على يد غيري؛ فعلى الداعية أن يكون في طلب الحق كناشد الضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة ويُعثر عليها بيده أو بيد مَنْ يُعاونه، ويرى دائمًا رفيقه مُعِينًا له لا خَصمًا ويشكره إذا عَرَّفَه الحق وأظهره له .

تاسعاً: **الوعى قبل السعي أيضًا مطلب:** فمن سبل الإفادة المعاصرة للدعوة والدعاة إلى الله تعالى من خلال ما عرضته سورة الكهف من آداب للحوار الهادف، أن يُدركوا أن الحوار من أحد أهم آليات السلم والإصلاح بكافة أشكاله (العقدي، والفكري والاجتماعي، والاقتصادي)، فهذا هو الوعى من خلال هذا الإدراك)، ومن ثَمَّ عليهم تفعيله في الواقع المعاصر من خلال طبيعة عملهم، ولقاءاتهم بالشرائح المختلفة من طوائف المجتمع، وهذا هو السعي .

عاشراً: **تُوجهنا سورة الكهف إلى مُراعاة جملة من الآداب الإسلامية القولية منها والعملية أثناء عملية الحوار، والتي يكون لها مردودها النفسي على أطراف الحوار**، وسلامة قلوبهم وصفائها، والانقياد للحق عند ظهوره؛ وحريٌ بالدعاة إلى الله تعالى الإفادة منها وانتهاجها في دعوتهم إلى الله، ومن أهم الآداب التي تكررت في قصص السورة المباركة حتى أصبحت من مسلمات وضروريات الحوار: **(احترام الطرف الآخر، والتأدب معه، وحفظ اللسان عما يسوءه من الألفاظ، وعدم السخرية برأيه..** الخ).

وبعـــد : فهذه جملة من آداب الحوار وضوابطه وآثاره من خلال سورة الكهف، أعرضها على ما بها من علة أو نقص، لعلها تفتح بابًا من أبواب المجال العلمي لعلماء الأمة ودعاتها أن يُفصلوا الأمر حول هذا الموضوع ويُكملوا ما نقص منه ، فالمسلمون في العصر الحاضر بأَمَسِّ الحاجة إلى استقصائه وإتمامه .

واللهَ تعالى أسأل أن ينفع بهذا الحديث عن أدب الحوار من خلال سورة الكهف القلوب المسلمة، وأن يُزيل ما بين أمتنا من خِلافَات وفرقة أَدْمَتْ قلوب المخلصين من أبناءها، وأن يهدينا

لأحسن الآداب والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا هو.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد. صلى الله عليه وسلم. و آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الخاتمة

بعد هذا البحث لأدب الحوار من خلال سورة الكهف، من أجل إبراز أهم أصوله وقواعده، ودوره في عملية الجدال بالتي هي أحسن من أجل التغيير للأفضل والإصلاح في المجالات المختلفة والتي من أهمها المجال (العقدي ـ والفكري ـ والاجتماعي ـ والاقتصادي)، بجانب بيان أثره في الدعوة الإسلامية، وسبل الإفادة المعاصرة منه للدعاة إلى الله نذكر بعض نتائج هذا البحث، وتوصياته :

أولاً: النتائج:

١. للحوار في القرآن آداب عظيمة هو منبعها ومعينها الأول، يجب استلهامها والاسترشاد بها، من أجل الوصول إلى الأمن الفكري، والسلامة من التطرف والغلو، والانغلاق الذاتي، والتحجر المعرفي والثقافي، والجفاء الاجتماعي، والضنك الاقتصادي.

٢. أن سورة الكهف من السور القرآنية التي حوت العديد من الدلالات العميقة، والأنواع المختلفة لآداب الحوار، عبر مجموعة من القصص القرآني، لها أثرها في الدعوة إلى الله تعالى؛ فأثبتت الدراسة بأن لأدب الحوار من خلال سورة الكهف أثر في الجدال العقدي.

٣. **أكدت الدراسة أن لآداب الحوار من خلال سورة الكهف أثر في الجدال الفكري يتمحور في:**

أ. أن الحوار الجيد يَنتُج عنه عدد متميز من الأفكار والمفاهيم والرؤى والمبادئ والمُثل والعادات والسلوكيات الصحيحة والراشدة، وما أن نقرر أن نتخذ من الحوار أسلوبًا، في الدعوة والتعليم، وفي معالجة المشكلات، وفي التواصل، وفي التفاهم بطريقة صائبة حتى تتحسن أشياء كثيرة في رؤانا وفي مفاهيمنا وفي عادتنا .

ب . التدرج في عرض الحُجة أحد أهم طرق تغيير الأفكار أثناء عملية التعليم أو الدعوة وهو مطلب شرعي، وله أثره الإيجابي في الوصول إلى الهدف والغاية من أقصر طريق، مع الوضع في الاعتبار أن التغيير الفكري والثقافي لا يتم دَفعة واحدة وإنما يتم على فترات متفاوتة، ومواقف متعددة.

ج . أن من طرق التغيير الفكري الناتج عن أدب الحوار في السورة الكريمة (التسليم بالمسلمات العقلية المفسرة للأقول والأفعال وقبول النتائج).

٤ . **بينت الدراسة أن لآداب الحوار من خلال سورة الكهف أثر في الإصلاح الاجتماعي يتلخص في:**

أ. شمولية الحوار القرآني لجميع نواحي الحياة وجميع فئات المجتمع.

ب . عدم اللدد في الخصومة، وترك التعصب من سُبل الإصلاح الاجتماعي.

ج . التواضع والاحترام المتبادل بين طرفي الحوار مع التلطف في العبارة له أثره في النفس المراد إصلاحها ودعوتها.

٥. **أفصحت الدراسة عن أثر أدب الحوار من خلال سورة الكهف في الإصلاح الاقتصادي من خلال:**

أ. ضرورة اكتساب الخبرات، والسفر والتنقل أحد أهم وسائل اكتساب الخبرة، ونقل تجارب الأمم والأخرين وخاصة في المجال الاقتصادي.

ب . التحفيز المعنوي، والمادي للقائمين بعملية الانتاج أحد أهم وسائل الإصلاح الاقتصادي.

٦ . **تمثلت سبل الإفادة المعاصرة للدعاة إلى الله من أدب الحوار في ضوء سورة الكهف فيما يلي:**

أ. التسامح، والوسطية والاعتدال في الفكر، بأن يُدركوا أهمية الحوار في ظل متغيرات العالم العلمية والمعرفية.

ب . التوصيف العلمي المتمثل في الإدراك والفهم والتوظيف والتطبيق العملي لآداب الحوار عبر وسائل الإعلام المختلفة.

ثانياً: التوصيات:

١. لابد من إعطاء **(أسلوب الحوار بآدابه)** عناية أكبر ضمن مقررات قطاع أصول والدعوة بجامعة الأزهر، خاصة وأن مادته الخام، ومنبعه الأصيل موجود ومحفوظ **(القرآن, والسنة)**، فضلا عن تدريب الطلاب عمليًا عليه أثناء الدراسة من أجل إتقانه؛ وليكن المقرر بعنوان **(فن الحوار في الإسلام بين النظرية والتطبيق)** أو بعنوان أخر وهو **(أصول وقواعد الحوار في الإسلام بين الواقع والمأمول)**.

٢. على الأزهر الشريف بما يتمتع به من تسامح ومعرفة بالإسلام الوسطي المستنير، ضرورة تفعيل أدب الحوار كما صورته سورة الكهف، من خلال عقد الدورات، والمؤتمرات، التي تُبصر الأفراد بأهمية هذه الآداب في حياتهم، ودعم اللجان الدائمة للحوار بكافة أشكاله ومستوياته، والمقابلة للمؤسسات العالمية التي تعمل في مجال حوار الأديان، تدعيمًا لدور الأزهر في نشر صورة الإسلام الصحيحة على الساحتين المحلية والعالمية، ويكون العنوان لهذه المؤتمرات والندوات على سبيل المثال: **(آداب الحوار في القرآن والسنة** المقومات، وآفاق الانطلاق)، أو (الحوار في العصر الحاضر الواقع والمأمول)، (الحوار في الإسلام المقومات ، والتحديات، والآفاق)...الخ.

٣. على الدعاة إلى الله أن يُراعوا آداب الحوار كما صورتها سورة الكهف والالتزام بها في دعوتهم لأفراد المجتمع من أجل إصلاح حقيقي في كافة القطاعات، وللحد من الأزمات الأخلاقية، والانحرافات السلوكية في العصر الحاضر، والعمل على حلها.

٤. ينبغي على كافة فئات المجتمع بطوائفها العُمرية العمل على تضافر الجهود من أجل الانضواء تحت مظلة الأزهر والاصطفاف حول ما يقوم به من دور فعال في مجال الحوار مع الأخر، بغرض دفع عجلة التنمية، وتحقيق القوة الذاتية للأوطان، وذلك من خلال الالتزام بآداب الحوار وقواعده وأصوله في البرامج الحوارية عبر وسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية، سواء كان هذا من خلال المشاركات المباشرة أو المداخلات، والتعليقات، وعلى الشباب تحديدًا الالتزام بها عبر وسائل التواصل الاجتماعي والسوشال ميديا.

وبعـدُ، فأسألُ اللهَ – تعالى – أن أكونَ قد وُفِّقتُ في الإسهام بالارتقاء من مستوى الوعي بآداب الحوار، وضوابطه، وآثاره إلى مستوى الإمساك بأهمِّ مفاصل دوره في الجدال العقدي، والفكري، فضلًا عن بيان دوره في الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي من خلال النماذج والقصص

الواردة في سورة الكهف، والنجاح في رَسْمِ أبرز معالم سُبل الإفادة منه للدعاة إلى الله في العصر الحاضر، والحمدُ للهِ أوَّلاً وآخرًا، والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجنبنا الزلل.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد (ﷺ) وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

المصادر والمراجع

القرآن الكريم جل من أنزله

*كتب التفسير وعلوم القرآن:

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، ط: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان : ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م ، بدون رقم طبعة.

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للإمام عبدالله بن عمر بن محمد المعروف بالقاضي البيضاوي، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ، طبعة: دار إحياء التراث العربي.

٣. تفسير البحر المديد، المؤلف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، ج٤، ص ٢٥٦، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م . طبعة: دار الكتب العلمية . بيروت.

٤. تفسير البحر المحيط، المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق مجموعة : د.زكريا عبد المجيد النوقي ـ د.أحمد النجولي ـ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، الطبعة : الأولى سنة ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م ، طبعة: دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت.

٥. تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، ط: سنة ١٩٩٧ طبعة: الدار التونسية للنشر، تونس. بدون رقم للطبعة.

٦. تفسير الجلالين، المؤلف : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى، طبعة: دار الحديث – القاهرة. بدون تاريخ

٧. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، طبعة دار النشر: دار الفكر – بيروت . لبنان – سنة ١٣٩٩هـ،١٩٧٩م، بدون رقم طبعة.

٨. تفسير القرآن العظيم ، للإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ] ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ط : دار طيبة للنشر والتوزيع.

٩. تفسير المراغي، المؤلف : الشيخ / أحمد مصطفى المراغي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، بدون تاريخ.

١٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، الطبعة : الأولى، سنة ١٩٩٧م، طبعة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.

١١. تفسير الشعراوي، ط: دار أخبار اليوم، مصر، بدون تاريخ.

١٢. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت(٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ط: مؤسسة الرسالة بيروت .

١٣. الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، الطبعة: السابعة، سنة ١٤٢٣ هـ : ٢٠٠٣ م، طبعة: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ، وبدون رقم طبعة.

١٥. زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، طبعة : دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

١٦. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من غلم التفسير، الإمام محمد بن علي الشوكاني الصنعاني ت: (١٢٠٥هـ)، طبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بدون تاريخ.

١٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة :الأولى، سنة١٤١٣هـ . ١٩٩٣م ، طبعة : دار الكتب العلمية – لبنان .

١٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، للإمام محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) تحقيق : عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى، سنة١٤٢٠هـ، طبعة: دار إحياء التراث العربي –بيروت.

***كتب السنة النبوية وشروحها**:

١٩. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، المؤلفون: العِراقي (٧٢٥ – ٨٠٦ هـ)، ابن السبكى (٧٢٧ – ٧٧١هـ)، الزبيدي (١١٤٥ – ١٢٠٥ هـ)،استِخرَاج: أبي عبد اللَّه مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد، طبعة: دار العاصمة للنشر – الرياض، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

٢٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٢هـ، الناشر: دار طوق النجاة.

٢١. سنن أبي داود، المؤلف : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، طبعة : دار الكتاب العربي . بيروت، بدون تاريخ.

٢٢. سنن الترمذي : المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م، طبعة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

٢٣. السنن الكبرى ، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣ ، سنة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٢٤. شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد

أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، طبعة : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م

٢٥. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.

٢٦. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م ، طبعة: دار المُغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

٢٧. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

***كتب اللغة العربية والمعاجم**:

٢٨. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٠٥ هـ، طبعة : دار الكتاب العربي - بيروت.

٢٩. القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي(٨١٧هـ) ، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت . بدون تاريخ.

٣٠. لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ـ طبعة: دار صادر - بيروت بدون تاريخ.

٣١. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، الطبعة طبعة جديدة ، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م، طبعة: مكتبة لبنان، بيروت.

٣٢. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، تحقيق : عبد السَّلام محمد هَارُون، سنة ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م، طبعة اتحاد الكُتَّاب العرب. بدون رقم طبعة.

٣٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، طبعة: دار المعرفة ، بدون تاريخ.

*** كتب عامة**

٣٤. أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د: فريد الأنصار، سلسلة (الحوار)، العدد (٢٧)، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، سنة١٤١٧هـ . ١٩٩٧م.

٣٥. أدب الحوار، د: محمد سيد طنطاوي، الطبعة: الأولى، سنة ١٩٩٧م، طبعة دار نهضة مصر القاهرة.

٣٦. أدب الحوار، عبد العزيز خياط، الطبعة : الأولى، سنة ٢٠٠٧م، طبعة : وزارة الثقافة سلسلة الفكر. جامعة كاليفورنيا.

٣٧. أسد الغابة، لابن الأثير، بدون بيانات .

٣٨. أسس الحوار بين الأديان، محمد حسين فضل الله، مقال بجريدة النهار، بدون رقم للعدد، سنة ٢٠٠٥م.

٣٩. الإسلام والحداثة، مصطفى الشريف، الطبعة : الأولى، سنة ١٩٩٩م، طبعة : دار الشروق القاهر.

٤٠. أنماط الحوار ووظائفه في القصة القرآنية (قصص سورة الكهف أنموذجًا)، د. يوسف سليمان الطحان، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد(٤)، لسنة٢٠١٣م، جامعة الموصل، العراق.

٤١. بحث بعنوان (الحوار مع الأبناء) ، عبد المحسن محمد الملحم، منشور بمجلة الإرشاد النفسي، جامعة عبن شمس القاهرة. العدد (٣٥)، أغسطس ٢٠١٣م.

٤٢. البحث العلمي ومناهجه النظرية (رؤية إسلامية)، أ. د: سعد الدين صالح، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤ هـ ،١٩٩٣م، طبعة: مكتبة الصحابة، جدة.

٤٣. البيان المحمدي، د: مصطفى الشكعة، سنة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، طبعة الدار المصرية اللبنانية ، بدون رقم طبعة.

٤٤. الحوار .. الذات والأخر، عبدالستار إبراهيم الهيتي ، الطبعة : الأولى، سنة ٢٠٠٤م، طبعة منشورات وزارة الأوقاف، قطر.

٤٥. الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه، منى اللبودي، الطبعة: الأولى، سنة ٢٠٠٣م، طبعة مكتبة وهبة، القاهرة.

٤٦. الحوار في السنة وأثره في تكوين المجتمع، تيسير محجوب الفيتاني، بدون بيانات.

٤٧. الحوار في الكتاب والسنة، د: علي جابر وادع، بحث بمجلة القراء والمعرفة، جامعة عين شمس، كلية التربية، عدد(١٣٢)، أكتوبر سنة ٢٠١٢م.

٤٨. ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، محمد خير رمضان، ، الطبعة: الثانية، سنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، طبعة دار القلم، دمشق.

٤٩. ذو القرنين، للأستاذ: محمد أحمد برانق، ط١١، مصر، دار المعارف، بدون تاريخ.

٥٠. سير أعلام النبلاء، الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ ١٣٧٤ م ، تحقيق: شعيب الارنؤوط ، ط٩، سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م، طبعة: مؤسسة الرسالة بيروت.

٥١. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي ، طبعة دار المعرفة بيروت . سنة ١٤٠٠هـ بدون رقم طبعة.

٥٢. صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم – دراسة في التفسير الموضوعي، المؤلف: عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، إشراف فضيلة الدكتور: حاتم محمد منصور مزروعة، الناشر: رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، عام النشر: ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

٥٣. ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، قيس المعايطة، المجلة الأردنية، العدد(١)، سنة ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٥٤. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الرابعة، سنة : ١٤١٤هـ – ١٩٩٣ م، طبعة: منشورات دار القلم – دمشق.

٥٥. قيم الحوار والتعايش في الحوار والتعايش في الرؤية الثقافية الإسلامية، محمد على التسخيري، مجلة أمة الإسلام العلمية، العدد(١) مارس ٢٠٠٩، طبعة : شركة كاهل للدراسات والطباعة والنشر.

٥٦. الكافية في الجدل للإمام الجويني، بدون بيانات .

٥٧. من أدب القرآن الكريم: (من صور الحوار في سورة الكهف)، عبد الغني أحمد ناجي، مقال بمجلة الوعي الإسلامي، العدد(٢٥٣)، محرم ١٤٠٦هـ.

٥٨. مناهج البحث العلمي وآداب الحوار والمناظرة، أ. د: فرج الله عبد الباري أبو عطا الله، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م، بدون دار طبع.

٥٩. مناهج البحث العلمي، أ. د: عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٧م، طبعة وكالة المطبوعات الكويت.

٦٠. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم . لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الطبعة الأولى، سنة١٩٩٦م، طبعة: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت.

فهرس الموضوعات

المحتويات

ملخص البحث ١٠
المقدمة ١٣
أهمية البحث ١٣
أهداف البحث ١٤
منهج البحث ١٥
خطة البحث: ١٥
التمهيد ١٧
أدب الحوار (المفهوم والأهمية) ١٧
أولا: التعريف بالمفاهيم الواردة بعنوان البحث ١٧
ثانيًا: أهمية الحوار في الإسلام (آدابه وضوابطه) ٢٢
المَبْحَثُ الأَوَّل ٢٥
آدَابُ الحُوَارِ من خلال سورة الكهف وَدَوْرُهَا فِي الجدال العقدي، والفكري ٢٥
المطلب الأول ٢٦
آداب الحوار ودورها في الجدال العقدي (أصحاب الكهف أنموذجًا) ٢٦
أولاً: دور آداب الحوار في الجدال العقدي من خلال قصة أصحاب الكهف ٢٨
المطلب الثاني ٣٩
آداب الحوار و دورها في الجدال الفكري (موسى والخضر أنموذجًا) ٣٩
أولاً: آداب الحوار من خلال (قصة سيدنا موسى عليه السلام والخضر) ٤٠
ثانيًا : أثر هذه الآداب الحوارية في الدعوة إلى الله تعالى من خلال قصة (موسى والخضر) ٥٢
المَبْحَثُ الثَّانِي ٥٤
آدابُ الحُوارِ ودَوْرُهَا فِي الاصلاح الاجتماعي وَالاقتصادي ٥٤
من خلال سورة الكهف ٥٤
المطلب الأول ٥٥
آداب الحوار ودورها في الإصلاح الاجتماعي من خلال سورة الكهف (صاحب الجنتين أنموذجًا) ٥٥
أولاً: أهم آداب الحوار في قصة صاحب الجنتين ٥٥
ثانيًا: دور آداب الحوار في الإصلاح الاجتماعي من خلال (قصة صاحب الجنتين) ... ٥٨
ثالثًا:أثر هذه الآداب الحوارية في الدعوة إلى الله تعالى من خلال (قصة صاحب الجنتين)٦٥
المطلب الثاني ٦٧
آداب الحوار ودورها في الاصلاح الاقتصادي (ذو القرنين أنموذجًا) ٦٧
أولاً: أهم آداب الحوار في قصة ذي القرنين. ٦٧
ثالثًا: أثر هذه الآداب الحوارية في الدعوة إلى الله تعالى من خلال (قصة ذي القرنين)٧٥
المَبْحَثُ الثَّالِث ٧٦

سُبُلُ الإفَادَةِ المُعَاصِرَةِ لِلْدَعْوَةِ وَالدُّعَاةِ مِنْ خِلَالِ ٧٦

آدَابِ الحُوَارِ فِي السُّوْرَةِ المباركة ٧٦

المطلب الأول ٧٧

أولاً: أهم الآداب والضوابط المستفادة والمشتركة بين قصص سورة الكهف ٧٧

المطلب الثاني ٨٠

سُبل الإفادة المعاصرة للدعاة إلى الله تعالى من آداب الحوار وضوابطه من خلال سورة الكهف ٨٠

الخاتمة ٨٤

أولاً: النتائج: ٨٤

ثانيًا: التوصيات : ٨٥

المصادر والمراجع ٨٨

فهرس الموضوعات ٩٥

(تم بحمد الله وتوفيقه)